حكاية لطيفة[1]

روى الناصر بن فتاح قال: عشقت أهيف الجوانح أصيد للقلوب من الجوارح، فأحرمني عشقه لذيذ المنام وهنيء الشراب والطعام، وفارقت بسببه الأهل والأوطان، وصرت أتنقل في البلدان وأتوسل بالأحباء وأستوصف الأطباء حتى جئت إلى طبيب حاذق بيد أنه عن الدين مارق، فأخبرته بدائي وسألته عن دوائي، فأعيته الحيلة ولم يجد إلى العلاج وسيلة وقال: ليس لهذا الداء دواء إلا اللقاء، ولا تفيد فيه الفواتح والرقاء، ولا الحكماء ولا الحذقاء.

ثم إني خرجت من عنده وراحتي صفر من الراحة، وعدت إلى ما كنت عليه من السياحة، ولم أزل أسأل العلماء وأستوصف الحكماء، ثم إني سمعت بمليح قد أفرغ في قالب الكمال وأخجل البدر والهلال له جِيد كجيد الظبا، ولحظ حكى فعله الظبا، فخامر حبه لبي ولم يحُل الأول عن سويداء قلبي[2] وأكسبني عشقه هموما وأحزانا (والأذن تعشق قبل العين أحيانا) فتغير لذلك حالي وزاد هيامي وبلبالي حيث بليت ببليتين ولم أعلم أصبو لأي الاثنين، ولم يجعل الله لرجل في جوفه من قلبين وسمعت بأن في بلدة ملتان[3] حكيما عالما يعلم الأبدان فتوجهت إليه فوجدته يعالج المرضى من غير انتظار للجزاء عارفا

---

(١) حديقة الأفراح لإزاحة الأفراح ٥٠٧.

(٢) سويداء القلب: يضرب مثلا لتفضيل بعض الشيء على كله، فيقال: سويداء القلب، وإنسان العين، وبيت القصيد، وواسطة القلادة، ويضرب أيضامثلا لمن يعز ويلطف موقعه، فيقال: هو مني في سواد عيني وسويداء قلبي، وربما قيل: هو في سوادي عيني وقلبي. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص ٣٤٠.

(٣) ملتانُ: بالضم وسكون اللام وتاء مثناة من فوقها وآخره نون وأكثر ما يكتب مولتان بالواو: هي مدينة من نواحي الهند قرب غزنة أهلها مسلمون. معجم البلدان ٤/ ١٥٥.

بالأدوية والأجزاء فأخبرته بقصتي وما صار لي وأصل علتي فقال : إن العشق يقطع الأوصال ولا يفيد فيه إلا الوصال .

فقلت له : إن أحد المحبوبين بأزمير والآخر بكشمير ، وبينهما بون بعيد ، وبعدي عنهما أزيد وأبعد ومن كل يزيد فأنا ها هنا بين الاثنين حزين القلب قريح العينين .

فقال : دع الثاني واجتهد في تحصيل الأول ، فخير الناس من مال إلى القديم وعليه عول أما سمعت أيها اللبيب ما قاله[1] حبيب[2] [الكامل]

نقل فؤادك ما استعطت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

فقلت له : إن هذا مقام الاختيار وليس لي فيه اختيار .

ثم دخل عليه رجل قيل : إنه ممن جمع علمي المعقول والمنقول ، واستنبط الفروع من الأصول ، فأخبره الحكيم بدائي وسأله منه الفكر في دوائي فقال : اسلُ عن هواهما تخل من بلائهما ، وإذا لم تقدر على السلوان اشتغل بمطالعة السلوات ، وإلا فاشتغل بمن علق أول بضميرك وتصدق بمن سمعت على غيرك ، واجزم وقل : توكلت على ربي . واستحضر بيت المتنبي[3] : [البسيط]

خذ ما رأيت ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

فوحق من أرجو به بلوغ الأماني إني لما سمعت البيت كأني لم أسمع بالثاني ، ثم إن الحكيم أخذ بيده كتاب **البيان والتبيين** فمرت به أبيات فيها

---

(١) ديوان أبي تمام ٣/ ٢٦٧.

(٢) هو : أبو تمام حبيبُ بنُ أوسٍ الطائيُّ ، الشاعر المعروف صاحب الحماسة ، أصله من قرية جاسم بالقرب من طبرية ، وكان بدمشق يعمل عند حائك ثم سار إلى مصر ، وقيل : هو شامي الأصل . توفى سنة ٢٢٨هـ . ترجمته . فى طبقات الشعراء لابن المعتز صـ ٢٨٣، والأغانى ١٦/ ٣٨٣، وتاريخ بغداد ٨/ ٢٤٨..

(٣) ديوان المتنبي ص ٢٦٠.

حسن التضمين .

فقال الرجل : إن التضمين وإن كان بالقلوب أملك فهو قريب التناول سهل المسلك .

فقال له الحكيم : فداك سمعي وناظري ضمن لي مثلا يتضمن ما في خاطري .

فقلت له : أيها الحكيم ، وذا العقل والقلب السليم مره يضمن البيت المذكور ليطفئ به حر غليل الصدور .

فقال له : ضمن بيت المتنبي السابق واذكر ما جرى له من محبوبيه الأول واللاحق ، فقام بالنبي ﷺ متوسلا وأنشد على البديهة مرتجلا فقال وأبدع في المقال عند هذا المجال : [البسيط]

رأيت ظبيا وظبيا قد سمعت به ... كلاهما كقضيب البان والأسل
الشمس تعجز عن إدراك حسنهما ... والبدر قد أدركته حمرة الخجل
حاز اللطافة من فرع إلى قدم ... هذا وذاك كهذا يا أخا النبل
فصرت في حيرة مما أكابده ... أصبو لأيهما يا قلة الحيل
فأنشدتني لسان الحال قائلة ... بيتا بديعا له التقديم في المثل
خذ ما رأيت ودع شيئا سمعت به ... في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

ثم إنه قام قاصدا على محله فقلت : إن حبك بلغ مني بلوغ الهدي إلى محله ، وأريد أن أكون لك من المصاحبين والمسامرين حتى يأتي إبان سفر المسافرين .

فقال : ائت إلى محلة اليهود واسأل عن دار شيخ الهنود ، فمن رأيته سيوصلك إليها أو يدلك عليها .

فذهبت فرأيت رجالهم ثم نساءهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، فدلوني

على دار ذات سُدَّات منيعة وشرفات رفيعة، فلما قرعت الباب أجابني الحجاب: إن صاحب المكان اتهم بتهمة وحبس في بيت الأحزان، فوقفت بالباب مفكرا متأسفا ومتحيرا، ثم إني أردت السؤال عن اسمه لما شاهدت من فضله ورسمه، فرأيت مكتوبا على الجدار أبياتا بقلم الريحان والغبار: [الطويل]

نزلت بهذا المنزل الرحب برهة ... من الدهر والأقدار تسعد بالمنى
وأعلم قطعا أنني سأفوته ... وأي فتى باق على الدهر في الدنى
فقل أيها الرائي لما كتبت يدي ... ألا رحم الرحمن من كان ههنا

ثم كتبت تحته قال ذلك بفمه ورقمه بقلمه خادم خدام الإمام المهدي أبو المظفر الهندي فترحمت عليه وعدت إلى ما كنت أنا قاصدا إليه فسبحان الباقي بعد فناء العباد وهو سبحانه يعلم كل قصد ومراد.

* * *

obeikandl.com

حكاية لطيفة
ونادرة ظريفة[1]

قال الأصمعي : دخلت البادية ومعي كيس فيه دراهم ودنانير فأودعته عند امرأة ومضيت لأسعى في حاجة لي ، فلما جئت إليها وطلبت الكيس منها أنكرت ، فأتيت بها إلى شيخ من الأعراب ، فاستمرت على إنكارها .

فقال الشيخ الأعرابي : قد علمت أنه ليس عليها إلا اليمين .

فقلت : كأنك لم تسمع قوله تعالى[2]: [الوافر]

فلا تقبل لسارقة يمينا وإن حلفت برب العالمينا

قال الأعرابي : صدقت . ثم تهددها ، فأقرت وردت الكيس إلي .

ثم التفت إلى الشيخ وقال : في أي سورة هذه الآية الشريفة ؟ أفدنا مأجورا .

فقلت له سورة : [الوافر]

ألا جودي بوصلك واصحبينا ولا تبقي وصال الناقصينا

فقال : سبحان الله كنت أظن أنها في سورة : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ .

* * *

(١) الكشكول ١/ ٢٨٦، وحديقة الأفراح ٣٩٨.

(٢) الكشكول ١/ ٢٨٦.

حكاية لطيفة

حكي أن ابن الراوندي[1] ـ عفا الله عنه ـ أصابه مغص في ليلة كاملة، فبات يسأل الله تعالى أن يفرج عنه بفسوة تخرج منه، فلم يتيسر له ذلك، فخرج في وقت الصباح وهو يتوكأ على عصا، فسمع رجلا يقول: اللهم ارزقني ألف دينار.

فقال له: يا سقيع الذقن أنا طول الليل أطلب منه فسوة فلم يعطها لي، أيعطيك ألف دينار ثم تركه.

---

(١) الراوندي (٢٩٨هـ/٩١٠م) أحمد بن يحيى بن إسحاق، أبو الحسين الراوندي، أو ابن الراوندي: فيلسوف مجاهر بالإلحاد. من سكان بغداد. نسبته إلى (راوند) من قرى أصبهان. قال ابن خلكان: له مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام، وقد انفرد بمذاهب نقلوها عنه في كتبهم. وقال ابن كثير: أحد مشاهير الزنادقة، طلبه السلطان فهرب، ولجأ إلى ابن لاوي اليهودي (بالأهواز) وصنف له في مدة مقامه عنده كتابه الذي سماه (الدامغ للقرآن). وقال ابن حجر العسقلاني: ابن الراوندي، الزنديق الشهير، كان أولا من متكلمي المعتزلة ثم تزديق واشتهر بالإلحاد، ويقال: كان غاية في الذكاء. وقال ابن الجوزي: أبو الحسين الراوندي، الملحد الزنديق، وإنما ذكرته ليعرف قدر كفره فانه معتمد الملاحدة والزنادقة. ثم قال: وكنت أسمع عنه بالعظائم، حتى رأيت ما لم يخطر على قلب أن يقوله عاقل. وذكر أنه وقعت له كتبه. ونقل عن الجبائي أن ابن الريوندي (كما يسميه) وضع كتابا في قدم العالم ونفى الصانع وتصحيح مذهب الدهر والرد على مذهب أهل التوحيد، وكتابا في الطعن على محمد ﷺ. وقال أبو العلاء المعرى (في رسالة الغفران): (سمعت من يخبر أن لابن الراوندي معاشر يخترصون له فضائل يشهد الخالق وأهل المعقول أن كذبها غير مصقول، وهو في هذا أحد الكفرة، لا يحسب من الكرام البررة) وعرفه ابن تغري بردي بالماجن المنسوب إلى الهزل والزندقة.

وتناقل مترجموه أن له نحو ١١٤ كتابا، منها (فضيحة المعتزلة) و(التاج) و(والزمرد) و(نعت الحكمة) و(قضيب الذهب) وأن كتبه التي ألفها في الطعن على الشريعة اثنا عشر كتابا. ولجماعة من العلماء ردود عليه، نشر منها كتاب (الانتصار) لابن الخياط. وفي المؤرخين من=

[حكاية أخرى][1]

وحكي أن أعرابيا ضرط على حين غفلة، فلامه الناس على ذلك فأنشد يقول: [الطويل]

ضرطت فما أحدثت في الناس بدعة ولم يأت استى منكرا فأتوب
فإن كانت الأستاه تضرط كلها فليس علي في الضراط رقيب

فضحك الحاضرون لكلامه ولم يلمه أحد منهم.

* * *

=يجزم بأنه عاش ٣٦ سنة (مع ما انتهى إليه من المخازي) كما في المنتظم لابن الجوزي. ومن فرق المعتزلة (الراوندية) نسبة إليه. مات برحبة مالك ابن طوق (بين الرقة وبغداد وقيل: صلبه أحد السلاطين ببغداد.

ترجمته في وفيات الأعيان ٢٧/١ وفيه وفاته سنة ٢٤٥هـ) وتاريخ ابن الوردي ٢٤٨/١ وفيه كما في كتاب ابن الشحنة، وفاته سنة ٢٩٣ هـ. ومروج الذهب للمسعودي ٢٣٧/٧ طبعة باريس، وفيه وفاته سنة ٢٤٥ هـ. والبداية والنهاية ١١٢/١١ وفيه: (وهم ابن خلكان وهما فاحشا في تأريخ وفاته سنة ٢٤٥ والصحيح أنه توفي سنة ٢٩٨ كما أرخه ابن الجوزي) والملل والنحل للشهرستاني ٨١/١ و ٩٦ طبعة محمود توفيق. ولسان الميزان ٣٢٣/١ وشرح نهج البلاغة ٤١/٣ ومعاهد التنصيص ١٥٥/١ والمنتظم ٩٩/٦ وشذرات الذهب ٢: ٢٣٥ ورسالة الغفران طبعة دار المعارف ٤١٠ ـ ٤١٢ ثم ٤٤٢ والنجوم الزاهرة ١٧٥/٣ وفيه: صلب وهو ابن ٨٦ سنة. وجاء ذكره في طبقات الأطباء ٢١٢/١ ثم ٩٧/٢ و ١٣٩ وكشف الظنون ١٢٧٤ والإمتاع والمؤانسة ٧٨/٢ وفي خطط المقريزي ٣٥٣/٢.

(١) محاضرات الأدباء ٢/ ٣١٩.

ومن الحكايات اللطيفة أيضا

أن بعض الملوك أحضر خياطا ليفصل له قركا ـ وهو المسمى الآن بالكرك ـ فأخذ يفصل والأمير ينظر إليه فما أمكنه، أن يسرق شيئا فضرط الخياط، فضحك الملك من ذلك حتى استلقى على قفاه، فعند ذلك سرق الخياط من قماش القرك ما أراد فجلس الملك وقال: يا خياط ضرّط ضرطة أخرى فقال: لا يا أمير المؤمنين لئلا يضيق القرك.

* * *

obeikandl.com

[حكاية أخرى]

وحكي أن بعض الشعراء مدح بعض الملوك بقصيدة فأمر له ببرذعة حمار ولجام ، فأخذهما على كتفيه وخرج بهما إلى السوق ، فمر به بعض الناس فقال له ما هذا ؟

فقال : إنني امتدحت مولانا السلطان بقصيدة من أحسن القصائد ، فخلع علي خلعة من أحسن ملابسه .

فبلغ الملك ذلك فضحك وأرسل له خلعة وأجازه بجائزة عظيمة .

* * *

obeikandl.com

[حكاية أخرى]

وحكي أن الملك أنوشروان جلس يوما للمظالم فدخل عليه رجل قصير وقال له : أنا مظلوم .

فقال الملك : القصير لا يظلمه أحد .

فقال : أيها الملك ، من ظلمني أقصر مني .

فضحك الملك منه وأمر بإنصافه[1] .

* * *

(١) الكشكول ١/ ١٢٦.

obeikandl.com

[حكاية أخرى][1]

وحكي أن عبدا أسود ادعى النبوة في مصر، فأتى المأمون، وقال: أنا موسى.

فقال المأمون: كان لموسى معجزة من اليد البيضاء، والعصا وتقلبها!

فقال: نعم أتى موسى بالمعجزة لقول فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾[2].

ولو قلت أنت مثل ذلك لأتيتك بمعجزة مثله.

* * *

(١) محاضرات الأدباء ٢/ ٩، وجمع الجواهر ٦٠، وحديقة الأفراح لإزاحة الأتراح ٣٥٩.

(٢) سورة النازعات: ، الآية ٢٤.

obeikandl.com

[حكاية أخرى]

ومن الحكايات اللطيفة أن رجلا سكر مرة فأخذوه إلى سلطان عصره ، فلما وقف بين يديه قال له : ما اسمك ؟

قال : اسمي السكران .

فقال : وأبوك ؟

قال : المكرم خديجة .

فضحك منه وصرفه ولم يحده .

* * *

obeikandl.com

[حكاية أخرى][1]

وحكي أن رجلا قال لآخر: لا تهرب من الحرب لئلا يغضب عليك الأمير.

فقال: غضبه علي وأنا حي، أحب إلي من رضاه وأنا ميت.

* * *

(١) العقد الفريد ١/ ١٧٥، وغرر الخصائص ٢/ ١٢٤.

obeikandl.com

[حكاية أخرى]

وحكي أن بعض الملوك اشترى أرضا ، فدعا بعض المهندسين الرياضية لأجل أن ينظم له بيتا ، فلما حضر الرياضي جعل يقول : هنا يكون كذا ، وهنا يكون محل آخر كذا ، فضرط فقال : وهنا يكون محل كنيف أيضا . فضحك منه الملك .

* * *

obeikandl.com

[حكاية أخرى]

وحكي أن بعض الرياضيين ـ أعني : بعض من كان عالما بعلم الرياضة ـ دعا بهذا الدعاء فقال : اللهم يا من يعلم قطر الدائرة ونهاية العدد المبهم والجذر الأصم، اقبضني إليك على زاوية قائمة، واحشرني إلى خط مستقيم لا منكسر.

* * *

obeikandl.com

حكاية مضحكة

قال أصحاب **النوادر اللطيفة** : مات مأبون[١] يقال : له قرنفل . فرآه شخص في المنام فقال له : أيش حالك يا قرنفل ؟

قال : لا تسالني عن شيء .

قال : إلى أين صرت يا قرنفل ؟

قال : إلى جهنم .

قال : ويحك ومن يلوط بك في جهنم ؟

قال : يزيد بن معاوية[٢] وأنا وإياه أصحاب .

ذكر في **القاموس**[٣] في باب الثاء وفي حرف الدال [الدعبوث][٤] بالضم هو المأمبون .

---

(١) أَبَنْتُ الرجلَ آبِنُه وآبُنُه إذا رَمَيْتَه بقبيح وقَذَفْتَه بسوء فهو مأْبُونٌ . اللسان (أ ب ن) .

(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي (٢٥ ـ ٦٤هـ) : ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولد بالماطرون ، ونشأ بدمشق ، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٠ هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين بن علي ، فانصرف الأول إلى مكة والثاني إلى الكوفة ، وخلع أهل المدينة طاعته سنة ٦٣ هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري ، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد ، ففعل بها مسلم الأفاعيل القبيحة ، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين ، وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم ، ويقال : إن يزيد أول من خدم الكعبة وكساها الديباج الخسرواني . ومدته في الخلافة ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما ، توفي بحوارين من أرض حمص . انظر : الأعلام ٨/ ١٨٩، الطبري : حوادث سنة ٦٤، وتاريخ الخميس ٢: ٣٠٠ ومنهاج السنة ٢: ٢٣٧ ـ ٢٥٤ وابن الأثير ٤: ٤٩ ومختصر تاريخ العرب ٧١ ـ ٧٦ والبدء والتاريخ ٦: ٦ ـ ١٦ واليعقوبي ٢: ٢١٥ وجمهرة الأنساب ١٠٣.

(٣) القاموس المحيط ١/ ١٥٨.

(٤) في الأصل : « الدغيوث » ، والمثبت من القاموس .

حكى الراغب في **تذكرته** قيل: أول من ظهرت فيه الأبنة العزيز صاحب يوسف عليه السلام[١].

وكان أبو جهل[٢] مأبونا، وإذا أحزنه الداء ألقم دبره حجرا[٣].

وكان جالينوس[٤] مأبونا ففعل به غلام خلف حائط، فطارت دجاجة،

---

(١) محاضرات الأدباء ٢/ ٣٢.

(٢) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي (ت ٢هـ): أشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، قال صاحب عيون الأخبار: سودت قريش أبا جهل ولم يطر شاربه فأدخلته دار الندوة مع الكهول. أدرك الإسلام، وكان يقال له أبو الحكم فدعاه المسلمون أبا جهل، سأله الأخنس بن شريق الثقفي، وكانا قد استمعا شيئا من القرآن: ما رأيك يا أبا الحكم في ما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه! واستمر على عناده، يثير الناس على محمد رسول الله ﷺ وأصحابه، لايفتر عن الكيد لهم والعمل على إيذائهم، حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدها مع المشركين، فكان من قتلاها. انظر: الأعلام ٥/ ٨٧، ابن الاثير ١: ٢٣ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٨ و ٤٠ و ٤٦ و ٤٧ وعيون الأخبار ١: ٢٣٠ والسيرة الحلبية ٢: ٣٣.

(٣) محاضرات الأدباء ٢/ ٣٢.

(٤) جالينوس الحكيم الفليسوف الطبيعي اليوناني من أهل مدينة فرغاموس من أرض اليونانيين إمام الأطباء في عصره ورئيس الطبيعيين في وقته ومؤلف الكتب الجليلة في صناعة الطب وغيرها من علم الطبيعة وعلم البرهان وَقَدْ ضم جالينوس أسماء تآليفه فهرستاً يشتمل عَلَى عدة أوراق وذكر مرتبة قراءتها ونبه عَلَى طريق تعليمها وهي تزيد عَلَى مائة تأليف. وقال أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي كَانَ جالينوس بعد المسيح بنحو مائتي سنة وبعد بقراط بنحو ستمائة سنة وبعد الإسكندر بنحو خمسمائة سنة ونيف ولا أعلم بعد أرسطوطاليس أعلم بالطبيعي من هذين الفاضلين أعني بقراط وجالينوس. وقال ابن جلجل الأندلسي بلد جالينوس من بلاد آسيا شرقي قسطنطينية وَكَانَتْ مدينة جالينوس اسمها فرغميس ويقال فرغمين وَكَانَتْ موضع سجن الملوك وهنالك كانوا يسجنون من غضبوا عَلَيْهِ قال وجالينوس هَذَا كَانَ فِي دولة نيون قيصر وهو=

ففزع الغلام وقام عنه، فقال جالينوس: دعني والدجاج، فما زال يصفه

=السادس من القياصرة الذين ملكوا رومية وطاف جالينوس البلاد وجالها وتنقل إِلَى مدينة رومية مرتين وسكنها وغزا مع ملكها لتدبير الجرحي وبرع في الطب والفلسفة وجميع العلوم الرياضية وهو ابن سبع عشرة سنة وأوفى وهو ابن أربع وعشرين سنة وجدد من علم بقراط وشرح كتبه مَا كَانَ قَدْ درس وفاق أهل زمانه وَكَانَتْ لَهُ بمدينة رومية مجالس مقامية خطب فِيهَا وأظهر من علمه بالتشريح مَا عرف بِهِ فضله وبان بِهِ علمه وَكَانَ أبوه ماسحاً لَمْ يكن في زمانه أعلم منه بعلم المساحة وَكَانَتْ الديانة النصرانية قَدْ ظهرت في أيامه فقيل لَهُ أن رجلاً قَدْ ظهر في آخر الدولة قيصر ببيت المقدس يبري الأكمه والأبرص ويحيي الموتى فقال أهنالك بقية ممن صحبه فقيل نعم فخرج من رومية يريد بيت المقدس فجاز إِلَى صقلية وهي يومئذ سلطانية فمات هنالك وقبره بِهَا وعاش ثمانياً وثمانين سنة وهو مفتاح الطب وباسطه وشارحه بعد المتقدمين وَلَهُ في الطب سنة عشر ديواناً كلها معلقة بعضها ببعض شرط عَلَى طالب الطب حفظها والاحتفال بِهَا أن طلب علم الطب من غير برهان وَكَانَ جالينوس عالماً بطريق البرهان خطيباً وَلَهُ كتاب ناقض بِهِ الشعراء وكتاب في لحن العامة وَلَمْ يسبقه أحد إِلَى علم التشريح وألف فِيهِ سبع عشرة مقالة وَكَانَ في زمانه قوم يمسبون إِلَى علم أرسطوطاليس وهم المسمون المعروفون بأصحاب المظلة وهم الروحانيون وألف عليهم كتاباً في الأسباب الملكة إذ كانوا يزعمون أن الروح سبب ماسك زناقض اسقلبياس في الفصد ورد عَلَيْهِ وَعَلَى كثير من القدماء وناقض السوفسطائيين وألف كتاباً عَلَى أصحاب الحيل في الطب وقال في كتابه في الأمراض العسرة البرء أنه كَانَ ماراً بمدينة رومية إذ هو برجل قَدْ حلق حوله جماعة من السفهاء وهو يقول أنا رجل من أهل حلب لقيت جالينوس وعلمني علومه أجمع هَذَا دواء ينفع الدود في الأضراس وَكَانَ الخبيث قَدْ أخذ بندقة معمولة من اللبان والقطران وَكَانَ يضعها عَلَى الجمر ويبخر بِهَا فم الَّذِي لَهُ الأضراس المدودة بزعمه فلا يجد بداً من غلق عينيه فإذا أغلقها دس في فمه دوداً قَدْ أغده في حق ثُمَّ يخرجها من فم صاحب الضرس فلما فعل ذَلِكَ ألقى إِلَيْهِ السفهاء بما معهم ثُمَّ تجاوز إِلَى أن قطع العروق عَلَى غير مفاصل قال جالينوس فلما رأيت ذَلِكَ أبرزت وجهي للناس وقلت لهم أنا جالينوس وهذا سفيه ثُمَّ حذرت منه واستعديت عَلَيْهِ السلطان فملكه فلذلك ألف جالينوس كتاباً في أصحاب الحيل وذكر في كتاب قاطاجالس أنه دير في الهيكل بمدينة رومية في نوبة الشيخ المقدم الَّذِي كَانَ يداوي الجرحى وذلك الهيكل هو البيمارستان فبرئ كل من دبره من الجرحى قبل غيرهم وبان بذلك فضله وظهر علمه وَكَانَ لا يقنع من علم الأشياء بالتقليد دون المباشرة وشخص=

.....

=جالينوس إِلَى قبرص ليرى القلقطار في معدنه وكذلك شخص إِلَى جزيرة لمنوس ليرى الطين المختوم وبار كل ذَلِكَ بنفسه وصححه وَلَمْ يكن في زمانه أدأب منه في قراءة كتاب عَلَى مَا ذكره من نفسه وَكَانَ يأخذ نفسه كل يوم بقراءة جزء من الحكمة ونهض بالعشي للمعلمين يعرض ذَلِكَ عليهم حَتَّى كَانَ أصحابه وإخوانه يلقبونه بالبديع القول وقولب الأوابد وَلَمْ يأخذ من أحد الملوك شيئاً ولا واكلهم ولا داخلهم كما ذكر في صدر كتابه في حيلة البرء وَكَانَ متصفحاً لكلام جميع المؤلفين فلم يسلم أحد من القدماء منه إِلاَّ مشدوخاً ولولا هو مَا بقي للعلم ولدرس ودثر من العالم جملة ولكنه أقام آوده وشرح غامضه وبسط مستصحبه وَكَانَ في زمانه فلاسفة مات ذكرهم عند ذكره فلم يعرفوا لخمول أسماءهم . وقال محمد بن إسحاق النديم في كتابه ظهر جالينوس بعد ستمائة وخمس وستين سنة من وفاة بقراط وانتهت إِلَيْهِ الرئاسة في عصره وهو الثامن من الرؤساء الذين أولهم اسقلبياذس مخترع الطب وَكَانَ معلم جالينوس أرمينس الرومي وأخذ عن اغلوقن وَلَهُ إِلَيْهِ مقالات وبينة وبينه مناظرات وقال جالينوس في المقابلة الأولى من كتابه في الأخلاق وذكر الوفاء واستحسنه وأتى فِيهِ بذكر القوم الذين نكبوا بأخذ صاحبهم وابتلوا بالمكاره يلتمس منهم أن يبوحوا بمساوئ أصحابهم وذكر معايبهم فامتنعوا من ذَلِكَ وصبروا عَلَى غلظ المكاره وإن ذَلِكَ كَانَ في سنة أربع عشرة وخمسمائة للإسكندر وهذا أصح مَا ذكر من أمر جالينوس ووقته وموضعه من الزمان .

وقال قوم آخرون أن جالينوس كَانَ في زمن ملوك الطوائف في أيام قيان ين شابور ين اصغان ومنذ وفاة جالينوس إِلَى عهدنا هَذَا وهو سنة اثنين وثلاثين وستمائة عَلَى مَا أوجبه الحساب الَّذِي ذكره يحيى النحوي وإسحاق بن حنين بعده ألف ومائة وستون سنة تقريباً .

وَكَانَ جالينوس وجيهاً عند الملوك كثير الوفادة عليهم كثير التنقل في البلدان طالباً لمصالح الناس وأكثر أسفاره كَانَ إِلَى مدينة رومية لأم ملكها كَانَ في أيامه مجذوماً وَكَانَ يستحضره كثيراً وَكَانَ جالينوس كثيراً مَا يلتقي مع الإسكندر والأفروديسي وَكَانَ الإسكندر يلبه برأس البغل وَقَدْ تقدم ذكر ذَلِكَ قالوا وإنما لقبه بذلك لعظم رأسه وتوفي جالينوس في أيام ملوك الطوائف وبين المسيح وبينه سبع وخمسون سنة المسيح عَلَيْهِ السلام أقدم منه .

وسأل رجل عبيد الله بن جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع المتطبب عن أمر جالينوس وزمانه واختلاف الناس فِيهِ وطلب منه تحقيق ذَلِكَ فأجابه عبيد الله بن جبرائيل برسالة أطنب وطول الكلام فِيهَا بذكر اختلافات المؤرخين في التواريخ وعول فِيهَا في ذكر جالينوس عَلَى تاريخ=

.....

=لهارون بن عزون الراهب وعدد الملوك والقياصرة فِيهِ من عهد الإسكندر ومدة مملكة كل واحد منها فمن هَذِهِ الرسالة ثُمَّ ملك طريانوس قيصر تسع عشرة سنة وهو الَّذِي ارتجع أنطاكية من الفرس وكتب إِلَى خليفته عَلَى فلسطين يقول لَهُ إني كلما قتلت النصارى ازدادوا رغبة فِي الدين فأمره برفع السيف عنهم وَفِي السنة العاشرة من مملكته ولد جالينوس ثُمَّ ملك بعده ادريانوس إحدى وعشرين سنة ثُمَّ وَفِي أيام هَذَا الملك ظهر جالينوس وهو الملك الَّذِي استخدمه .. وهذا قول جالينوس ف صدر مقالته الأولى من كتاب عمل التشريح وهذا قوله بعينه قال جالينوس قَدْ كنت وضعت فيما تقدم فِي علاج التشريح كتاباً فِي مقدمتي الأولى إِلَى مدينة رومية وذلك فِي أول ملك انطوتينوس الملك فِي وقتنا هَذَا .. ومنها أعني من الرسالة المذكورة لعبد الله بن جبرائيل فمن موجب هَذَا يكون مولد جالينوس فِي السنة العاشرة أَوْ نحوها من ملك طريانوس الملك لأنه وعم أن وضعه لكتاب علاج التشريح كَانَ فِي مقدمته الأولى إِلَى رومية وذلك فِي ملك أنطونينوس كما ذكر وأنه لَهُ من عمره علي مَا ذكرنا ثلاثون سنة مضى منا مدة ملك اذريانوس إحدى وعشرون سنة وَكَانَ مدة طريانوس قيصر تسع عشرة سنة وإذا كَانَ هَذَا هكذا أصح ام مولد جالينوس كَانَ فِي السنة العاشرة من ملك طريانوس فتكون المدة الَّتِي من صعود المسيح عَلَيْهِ السلام إِلَى السماء وهي من سنة تسع عشرة من ملك طاباريوس قيصر وإلى السنة العاشرة من ملك طريانوس الَّتِي ولد فِيهَا جالينوس عَلَى موجب التاريخ المذكور ثلاث وسبعين سنة وعاش جالينوس عَلَى مَا ذكره إسحاق بن حنين فِي تاريخه ونسبه إِلَى يحيى النحوي سبعاً وثمانين سنة منها صبي ومتعلم سبع عشرة سنة وعالم ومعلم سبعون سنة وقال إسحاق أن بَيْنَ وفاة جالينوس إِلَى سنة تسعين ومائتين للهجرة ثمانمائة وخمس عشرة سنة ويضاف إليها مدة عمر جالينوس وَمَا كَانَ مضى من تاريخ الملك مائة وستون سنة فيكون جميع ذَلِكَ إِلَى زماننا مَا قدمت ذكر هَذَا أعدل مَا يمكن علمه والله أعلم بالحقيقة فِي ذَلِكَ . ومما يشهد بأن المسيح عَلَيْهِ السلام كَانَ قبل جالينوس فِي كتاب تفسيره لكتاب أفلاطون فِي السياسة المدنية وهذا نص قوله قال جالينوس قَدْ ترى القوم الذين يدعون النصارى إنما أخذوا إيمانهم بالرموز والعجز وَقَدْ يظهر منهم أفعال المتفلسفين أيضاً وذلك عفافهم عن الجماع وأن منهم قوماً لا رجال فقط لكن نساء أيضاً قَدْ أقاموا أيام حياتهم ممتنعين عن الجماع ومنهم قوم قَدْ بلغ من ضبطهم لأنفسهم فِي التدبير فِي المطعم والمشرب وشدة حرصهم عَلَى العدل أن صاروا غير مقصرين عن الذين يتفلسفون بالحقيقة فبهذا القول قَدْ علم أن النصارى لَمْ يكونوا ظاهرين فِي زمن المسيح بهذه الصورة أعني

للمرضى حتى انقطع أصل الدجاج من المدينة[1].

* * *

الرهبنة التى نعتها جالينوس فأشار بِهَا إِلَى الانقطاع إِلَى الله تعالى لكن بعد المسيح عَلَيْهِ السلام بمائة سنة انتشرت الرهبنة هَذَا الانتشار حَتَّى زادوا عَلَى الفلاسفة فِي طلب الخير وفعله وأربوا بالعدل والتفضل والعفاف وفازوا بتصديق المعجز وتحصل لهم الحالان وورثوا المنزلتين واغتبطوا بالسعادتين أعني السعادة الشرعية والسعادة العقلية فمن هَذَا وشبهه يتبين لَكَ أسعدك الله صحة تاريخ جالينوس.

أخبار العلماء بأخيار الحكماء ٥٨.

(١) محاضرات الأدباء ٢/ ٣٢.

ومن الحكايات الغريبة

أن بعض التجار كان عنده جارية سوداء، وكان عنده خادم بالمنزل، ففي بعض الأيام طلع الخادم إلى محل الجارية ودخل عليها وهي نائمة في الظلام، فوطئها فحل لها لذة فقالت له: من أنت؟

فقال لها: أنا العفريت الذي يعفرتك.

فلما فرغ نزل إلى محله، فلما جاءت الليلة الثانية انتظرته، فلم يجئ فنزلت من وراء باب الحريم، وجعلت تنادي وتقول: يا عفريت تعال عفرتني. وقد كثر نداؤها بهذه الصورة، فسمع سيدها هذا النداء فقام إليها وقال: من هو العفريت يا بنت؟

قالت: هذا الخادم أريد أن يعفرتني مثل الليلة الماضية.

فلما فهم سيدها هذه الصورة طرد الخادم وباع الجارية.

* * *

ومن اللطائف الغريبة

المستحسنة الظريفة

ما قيل أن المبرد[١] بعث غلامه لشخص وقال له: امض إليه فإن رأيته فلا تقل له، وإن لم تره فقل له.

فذهب الغلام ورجع فقال: لم أره فقلت له، فجاء فلم يجئ.

وكان عنده في هذا الوقت جمع من الناس، فتعجبوا من هذا الكلام، فسألوا الغلام عن معنى ذلك، فقال: أرسلني سيدي إلى غلام يهواه، فقال: إن رأيت مولاه، فلا تقل له شيئا، وإن لم تر مولاه فادعه إلينا، فذهبت فلم أر مولاه فقلت له احضر إلى سيدي فجاء مولاه فلم يقدر الغلام أن يجيء.

انتهى من الكشكول[٢].

* * *

(١) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (٢١٠ - ٢٨٦هـ): إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والاخبار، مولده بالبصرة ووفاته ببغداد، من كتبه: الكامل، والمذكر والمؤنث، والمقتضب، والتعازى والمراثي. انظر: الأعلام ٧/ ١٤٤، بغية الوعاة ١١٦ ووفيات الأعيان ١: ٤٩٥، وسمط اللآلي ٣٤٠ والسيرافى ٩٦ وتاريخ بغداد ٣: ٣٨٠ وآداب اللغة ٢: ١٨٦ ولسان الميزان ٥: ٤٣٠ ونزهة الألبا ٢٧٩ وطبقات النحويين ١٠٨ - ١٢٠.

(٢) الكشكول ١/ ٤١٢.

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

أقول : ومن النوادر الظريفة أن بعض الأعراب دخل على المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا رجل من الأعراب .

قال : لا عجب .

قال : إني أريد الحج .

قال : الطريق واسعة .

قال : ليس معي نفقة .

قال : قد سقط عنك الحج .

قال : أيها الأمير جئتك مستجديا ـ أي طالبا منك الجدوى ؛ يعني النفع ـ لا مستفتيا فضحك المأمون وأمر له بجائزة[1] .

* * *

(١) حديقة الأفراح لإزاحة الأفراح ٣٧٣.

obeikandl.com

نادرة غريبة

حكي أن رجلا رأى امرأة حسناء في طاقة ، فأحبها حبا شديدا ولازم المقام ببابها والمرور تحت طاقتها إلى أن أعيا وقل صبره وحصل على الإياس منها ، فدق عليها الباب فخرجت الجارية إليه ، فدفع إليها صفحة وقال : دعي سيدتك تبول في هذه الصفحة .

فبالت سيدتها في الصفحة وقالت للجارية : اقتفي أثره - أي اتبعيه - وانظري ما يصنع .

فلم يزل سائرا وهو تتبعه إلى أن دخل إلى بعض الخرابات فوضع أيره في ذلك البول وقال : يا ميشوم إذا فاتك اللحم فاشرب المرق[1] .

* * *

(١) الكشكول ٢/ ١٨٨، وديوان الصبابة ٤٤٥.

ومن اللطائف

أن رجلا خرج إلى السوق فوجد رجلا آخر راكبا على حمار، فقال له: إلى أين تريد يا شيخ؟

فقال: إلى صلاة الجمعة.

فقال له: اليوم الثلاث.

فقال: له طوبى لي إن وصلني حماري للجامع إلى يوم السبت.

* * *

obeikandl.com

لطيفة

قال رجل لآخر: فلان يشتمك في غيبتك.

فقال: ولو ضربني وأنا غائب لم أبال به.

وقيل لرجل: أتحب أن أعمل لك شيئا يصير أيرك كبيرا؟

فقال: لا لأن منفعته لغيري[١].

وقال رجل لآخر: من أين أقبلت؟

قال: من لعنة الله.

قال له: رد الله غربتك[٢].

ورأى رجل طفلا يبكي وتلاطفه أمه، فما كان يسكت، فقال: اسكت وإلا [...][٣] أمك. فقالت المرأة: لا يصدق حتى يعاين ما قلت.

فقام الرجل إليها وأدار العمل.

وقال رجل لامرأة: أريد أن [...][٣] لأعلم أنت طيب أم امرأتي فقالت له سل زوجي فإنه قد [...][٣] امرأتك فجن الرجل.

ونظر رجل إلى امرأة حسناء فقالت له يا سيدي أتريد [...][٣]؟ فقال نعم فقالت اقعد حتى يجيء زوجي [...][٣].

* * *

(١) محاضرات الأدباء ٢/ ٢٦٢.

(٢) الأذكياء ١٣٥، واللطف واللطائف ٥٨، وثمار القلوب ٣٤.

(٣) كلمة تخدش الحياء.

obeikandl.com

نادرة ظريفة

وهي أن سائلا مشى في شارع وكان معه ابن صغير فسمع امرأة خلف جنازة وهي تبكي وتقول: أين يذهبون بك يا نور عيني؟ إلى بيت ليس فيه غطاء ولا أكل ولا شرب.

فقال ابن السائل لأبيه: هذا الميت يذهبون به إلى بيتنا يا أبي.

* * *

obeikandl.com

لطيفة

قيل عن رجلا جاء إلى حكيم وقال له : إن في بطني معمعة وقرقرة .

فقال له : أما المعمة فلا أعرفها وأما القرقرة فضراط[1] .

ومن اللطائف أيضا : أن هارون الرشيد خرج يوما ليتفرج في بغداد ويتبصر أحوالها ، فمر في بعض الطرق فوجد رجلا رمالا يضرب بالرمل ، فأتى إليه وقال له : ماذا تصنع ؟

فقال : أضرب الرمل فقل بي أمراض أخبرك بها ؟

فقال : قل .

فقال : شعر ذقني به مغص وما آكله من الطيبات ينزل خبيثا من أسفل وبباطني ظلمة .

فقال له : أما ما بلحيتك من المغص فعليك بالموسى ، وأما ما تأكله من الطيبات فينزل خبيثا من أسفل فكله خبيثا ينزل خبيثا ، وأما ما تراه من الظلمة في باطنك فعلق على باب استك قنديلا لأجل أن ينور على استك وبطنك فضحك منه وأجازه .

وحكي أنه عرضت على الملك الرشيد جارية مغنية وقيل : حافظة للقرآن ، فتبسم الملك الرشيد في وجهها وقال في أي سورة أنت : ﴿فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ﴾ . فلما سمعت ذلك حلت سروالها وقالت : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ .

وفي هذا القدر كفاية من الفكاهة ، والله أعلم بحقائق الأحوال .

وحيث انتهى ما أشرنا إليه من الحكايات اللطيفة والنوادر الظريفة ، أحببنا أن نذكر جملة ظريفة ونبذة لطيفة تتعلق بالعاشقين من الملوك وأرباب المعرفة في هذا الطريق المسلوك فقلنا :

---

(١) العقد الفريد ٣/ ٢٦٤، ومحاضرات الأدباء ١/ ٢٠٩.

obeikandl.com

الباب السابع
عشر في جملة ظريفة ونبذة لطيفة ونكات أدبية وعبارات كالتبر ذهبية تتعلق بالعاشقين من الملوك وأرباب المعرفة في هذا الطريق المسلوك

اعلم أني لم أذكر في هذا الباب سوى أخبار أحسن الملوك طباعا، وأطولهم في هذا السير باعا، ومن له القدم الراسخ في المحبة والرغبة الزائدة في دوام الصحبة، وأطيبهم عيشا، وأرقهم حكايات، وأحسنهم شعرا.

واذكر ذلك على حسب ما سولته لهم نفوسهم، ومن هنا نشرع في المقصود متوكلين على الملك المعبود.

قال بعض الفلاسفة[1]: لم أر حقا أشبه بباطل من العشق، ولا باطلا أشبه بحق من العشق؛ هزله جد، وجده هزل، وأوله لعب، وآخره، عطب كما قال الشاعر[2]: [المتقارب]

تولع بالعشق حتى عشق ... فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة ... فلما تمكن منها غرق

حكي أن أمير المؤمنين هارون الرشيد كان يهوى جارية فتغاضب معها وهجرها، فأمر الوزير جعفر[3] .....

(١) ديوان الصبابة ٧١، ومحاضرات الأدباء ٢/ ٣٥، مصارع العشاق، ص ٢٤.

(٢) ديوان الصبابة ٧١، والكشكول ١/ ٧٨.

(٣) جعفر البرمكي (١٥٠ ـ ١٨٧هـ/٧٦٧ ـ ٨٠٣م) هو: جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، أبو الفضل: وزير الرشيد العباسي، وأحد مشهوري البرامكة ومقدميهم. ولد ونشأ في بغداد، واستوزره هارون الرشيد، ملقيا إليه أزمة الملك، وكان يدعوه: أخي. فانقادت له الدولة،=

العباس بن الأحنف[١] أن يعمل شيئا من الشعر في ذلك فقال[٢] : [الكامل]

راجع أحبتك الذين هجرتهم إن المتيم قلما يتجنب
إن التجنب إن تطاول منكما دب السلو له فعز المطلب

ثم أمر إبراهيم الموصلي أن يغني بهذين البيتين عند الرشيد، فغنى بهما عنده، فلما سمع هذا الشعر أرضاها، فعند ذلك أمرت لكل من إبراهيم الموصلي والعباس بعشرة آلاف درهم، وأمر الرشيد لكل منهما بأربعين ألفا.

قال عباس بن الأحنف[٣] : [الطويل]

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وإن كنت مظلوما فقل أنا ظالم

=يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه، إلى أن نقم الرشيد على البرامكة نقمته المشهورة، فقتله في مقدمتهم، ثم أحرق جثته بعد سنة.

وكانت لجعفر توقيعات جميلة. وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغة القول. وكرم اليد والنفس، قالوا في وصف حديثه: (جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة، وإفهاما يغنيه عن الاعادة) وكان كاتبا. بليغا، يحتفظ الكتاب بتوقيعاته يتدارسونها. والبرامكة يرجعون في أنسابهم إلى الفرس.

ترجمته في الوزراء والكتاب الجهشياري ٢٠٤، والأعلام ٢/ ١٣٠.

(١) العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي، أبو الفضل (ت ١٩٢هـ) : شاعر غزل رقيق، قال فيه البحتري : أغزل الناس. أصله من اليمامة (في نجد) وكان أهله في البصرة، وبها مات أبوه، ونشأ هو ببغداد، وتوفي بها ـ وقيل بالبصرة ـ خالف الشعراء في طريقتهم فلم يمدح ولم يهج، بل كان شعره كله غزلا وتشبيبا، له ديوان شعر، وهو خال إبراهيم بن العباس الصولي. انظر: الأعلام ٣/ ٢٥٩، وفيات الأعيان ١: ٢٤٥ ومعاهد التنصيص ١: ٥٤ والأغاني، طبعة الدار، ٨: ٣٥٢ والشعر والشعراء ٣٣٥ والنجوم الزاهرة ٢: ١٢٧ والبداية والنهاية ١٠: ٢٠٩.

(٢) ديوان العباس بن الأحنف ١٨، والأغاني ٢/ ٥٤، والزهرة ١/ ٢١، والمحاسن والمساوئ ١/ ١١١، ومحاضرات الأدباء ١/ ٣٥٧، والتذكرة الحمدونية ٢/ ٢١٤.

(٣) ديوانه ٢٠٦، والأغاني ٢/ ٤٣١، وحياة الحيوان الكبرى ١/ ١١٩، ومحاضرات الأدباء ١/ ٣٤٧، والعمدة لابن رشيق ١/ ١٣٨، وحماسة القرشي ١/ ٢١.

فإنك إن لم تغفر الذنب في الهوى يفارقك من تهوى وأنفك راغم

وقال ابن الفصيح[١] في المعنى[٢]: [المجتث]

زار الحبيب فحيا يا حسن ذاك المحيا
من صده كنت ميتا من وصله عدت حيا

وحكي أن المأمون رأى غلاما ظريفا حسنا فعشقه، وكان هذا الغلام لأحمد بن يوسف[٣]، فقال له ما اسمك يا غلام؟

فقال له: فتح

فقال المأمون شعرا[٤]:

يا فتح يا فاتحا لسلوائي[٥] ويا عليما بطول شكوائي
الحمد لله لا شريك له مولاك عبدي وأنت مولائي

---

(١) أحمد بن علي بن أحمد الكوفي البغدادي، أبو طالب، فخر الدين ابن الفصيح (٦٨٠ ـ ٧٥٥هـ): فاضل، من فقهاء الحنفية، له نظم ونثر، أصله من الكوفة وانتقل إلى بغداد، وتصدى للإفتاء والتدريس بدمشق، وتوفي فيها. انظر: الأعلام ١/ ١٥٧، النجوم الزاهرة ١٠: ٢٩٧ والدرر الكامنة ١: ٢٠٤ والجواهر المضية ١: ٧٩.

(٢) النجوم الزاهرة ١٠: ٢٩٧.

(٣) هو: أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي بالولاء، المعروف بالكاتب: وزير من كبار الكتاب. من أهل الكوفة. ولي ديوان الرسائل للمأمون، واستوزره بعد أحمد بن أبي خالد الأحول، وتوفي ببغداد. وكان فصيحا، قوي البديهة، يقول الشعر الجيد، له (رسائل) مدونة. وهو صاحب البيت المشهور:

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق.

ترجمته في تاريخ بغداد ٥/ ٢١٦ والوزراء والكتاب ٣٠٤ ومعجم الأدباء ٢/ ١٦٠، الأعلام ١/ ٢٧٢.

(٤) ديوان الصبابة ١٠٩.

(٥) في مصدر التخريج: «لبلوائي».

فبلغ ذلك أحمد بن يوسف فوهبه الغلام.

ومن غريب ما يحكى أن يزيد بن عبد الملك بن مروان[1] كان صبا بحب جارية فخلا يوما بها وهو في لهو ولعب، وقال لأكذبن قول من قال: إن الدهر لا يصفو لأحد يوما.

فأحضر حاجبه وقال له: لا تأذن لأحد أن يدخل علي، ولا تُدخل علي خبرا قط، ولا تدع أحدا يأتيني بخبر ولو كان فيه ذهاب ملكي مدة هذا اليوم.

وأقام مع الجارية في أتم حال فرحا بذلك، وكان قد أحضر من المشمومات والمطعومات من الثمار والفواكه ما لم يوجد عند أحد غيره، وكان من جملة الفواكه التي حضرت لديه الرمان، فكسرت الجارية رمانة وتناولت منها واحدة فشرقت فماتت لوقتها، فعرض له نوع من الوله فحال بينه وبين الصبر ومنع من

---

(١) يزيد بن عبد الملك (٧١ ـ ١٠٥هـ/٦٩٠ ـ ٧٢٤م) هو: يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد: من ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد في دمشق، وولي الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز (سنة ١٠١هـ) بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك. وكانت في أيامه غزوات أعظمها حرب الجراح الحكمي مع الترك وانتصاره عليهم. وخرج عليه يزيد بن المهلب، بالبصرة، فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله. وكان أبيض جسيما مدور الوجه، مليحه، فيه مروءة كاملة، مع إفراط في الانصراف إلى اللذات. ومات في إربد (من بلاد الأردن) أو الجولان، بعد موت "قينة" له اسمها "حبابة" بأيام يسيرة، وحمل على أعناق الرجال إلى دمشق، فدفن فيها. وكان لحبابة، هذه، أثر في أحكام التولية والعزل، على عهده. ونقل الديار بكري (في تاريخ الخميس) أنه: "مات عشقا" قال: "ولا يعلم خليفة مات عشقا غيره" وكان يلقب بـ "القادر بصنع الله" ونقش خاتمه: "فتى الشباب يا يزيد!" "وربما قيل له "يزيد بن عاتكة" نسبة إلى أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية. ونقل اليافعي أنه لما استخلف قال: سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز، فأتوه بأربعين شيخا شهدوا له أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب! وكانت مدة خلافته أربع سنين وشهرا.

ترجمته في: الأعلام ٨/ ١٨٥.

دفنها حتى سأله جماعة من بني أمية في ذلك ولاطفوه فأمر بدفنها وأنشد قائلا[١] : [الطويل]

فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى فبالبأس نسلو عنك لا بالتجلد[٢]

وقيل : إنه لم يقم بعدها إلا سبعة أيام ، ومات أسفا عليها ، وما كان يصفو له الدهر ومن ثم أنشد بعضهم : [مجزوء الرمل]

ما صفا الدهر لخل نصف يوم وأتمه

وحكي أن حمادا[٣] قال كنت عند جعفر بن سليمان[٤] بالبصرة ، وإذا

---

(١) البيت لكثير عزة ، ديوانه ١٠٨.

(٢) الكامل للمبرد ١/ ٢٠٣، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٥١.

(٣) حماد الراوية (٩٥ ـ ١٥٥هـ/٧١٤ ـ ٧٧٢م) هو : حماد بن سابور بن المبارك ، أبو القاسم : أول من لقب بالراوية . وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها . أصله من الديلم ، ومولده في الكوفة . جال في البادية ورحل إلى الشام . وتقدم عند بني أمية ، فكانوا يستزيرونه ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ، ويجزلون صلته . وهو الذي جمع السبع الطوال (المعلقات) ، وقيل : كان في أول مرة يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص ثم طلب الادب وترك ماكان عليه . وفيه يقول الطهوي : (نعم الفتى لو كان يعرف ربه أو حين وقت صلاته ، حماد) وتوفي في بغداد .

ترجمته في : نزهة الألباء ٤٣، ووفيات الأعيان ١/ ١٦٤، والأغاني ٦/ ٧٠ وهو فيه (حماد بن ميسرة) أو (حماد بن سابور) روايتان . ولسان الميزان ٢/ ٣٥٢.

(٤) هو : جعفر بن سليمان بن علي بن حبر الأمة ، عبد الله بن عباس ، الأمير ، سيد بني هاشم ، أبو القاسم العباسي . ابن عم المنصور . روى عن أبيه . وعنه : ابناه : قاسم ، ويعقوب ، وعمر بن عامر ، والأصمعي . وكان من نبلاء الملوك جودا وبذلا ، وشجاعة وعلما ، وجلالة ، وسؤددا ، ولي المدينة ، ثم مكة معها ، ثم عزل ، فولي البصرة للرشيد . قال عبد السميع بن علي : لا نعرف في بني هاشم أغبط منه ، حصل له الشرف والإمرة والمال الجم ، والاولاد الزهر ، والعبيد . مات عن ثمانين ولدا لصلبه ، منهم ثلاثة وأربعون ذكرا . وولي ابنه أيوب اليمن في حياته . وله مآثر كثيرة ووقف على المنقطعين . قال الأصمعي : ما رأيت أكرم أخلاقا ، ولا أشرف أفعالا منه . =

بشاب من أحسن الناس وجها أدخل عليه ومعه جارية كأنها قضيب بان أو حوراء فرت من رضوان، فقال صاحب الشرطة: أصلح الله الأمير، إني وجدت هذا وهذه ـ وأشار للغلام والجارية ـ مجتمعين في خلوة وليس هو لها بمحرم.

فقال جعفر للفتى: ما تقول؟

فقال: صدق، ولقد طال والله غرامي بها، وأنا أحبها منذ ثلاث سنين، والله ما أمكنني الخلوة بها إلا في هذا الوقت، وأنشد قائلا: [الطويل]

تمنيت من ربي أفوز بقربها فلما تهيا لي المنى عاقه العسر
ووالله بل والله ما كان ريبة وما كان إلا اللفظ والضحك والبشر
فدونكما جلدي ولا تجلدونها فكم من حرام كان من دونه ستر

ثم إن الجارية علت تبكي بكاء شديدا.

فقال لها: وأنت لم تبكين؟

فقالت: والله شفقة على ما حل بنا، وكيف احتلت حتى خرجت، وكيف بلينا بهذه البلية.

فقال: أتحبينه؟

قالت: نعم.

قال: أنت حرة أم مملوكة؟

قالت: بل مملوكة.

= ترجمته في: المعرفة والتاريخ للفسوي: ١/ ١٣١، ١٣٢، ١٣٥، الكامل لابن الأثير: ٥/ ٥٤٩، ٥٦٤، ٥٦٩، و ٦/٥٦/ ٦١، ١١٩، عيون الاخبار: ١/٢٢٢ و ٢/٢٥٣ و ٣/ ٢٤، ١٩٩، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٣٩.

فأمرها أن تدخل الدار وأحضر مولاها فاشتراها منه بمائتي دينار وأعتقها وزوجها للفتى، ووهب له مائتي دينار وكساهما فأنشد الفتى: [الطويل]

لقد جدت يا ابن الأكرمين بنعمة جمعت بها بين المحبين في ستر
فلا زلت بالإحسان كهفا وملجأ وقد جل ما قد كان منك عن الشكر

فضحك ثم أمر لهما بجائزة وانصرفا بسلام[1].

وحكي أن بعض الظرفاء بمصر كان عنده شاب من أحسن الناس وجها، وكان يحبه حبا شديدا، إذ دخل عليه في بعض الأيام أحد أصحابه فوجد الشاب قائما أمام سيده، فقال له: ماذا تصنع بهذا الشاب الحسن؟

فقال: هذا مصباح أستنير به إذا غاب عني طفئ مصباحي، وهو راحتي في غدوي ورواحي، لا أَمَلُّ عنه ولا أسأم منه، بل إذا غاب أحرم النوم في الأمس والغد واليوم. فانظر يا أخي على هذا الجواب الذي يكاد أن يأخذ بالألباب، وما هو ناشيء إلا عمن كان قد كابد فراق الأحباب، فإذ حصل هذا لم يكن شيء يستطاب.

وحكي أنه كان لسليمان بن عبد الملك[2] غلام وجارية، وكان ذلك الغلام يحب تلك الجارية، فكتب الغلام إليها هذا الشعر: [الكامل]

---

(١) إعلام الناس بما وقع للبرامكة ٨٤.

(٢) سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب (٥٤ ـ ٩٩هـ): الخليفة الأموي، ولد في دمشق، وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦ هـ وكان بالرملة، فلم يتخلف من مبايعته أحد، فأطلق الأسرى وأخلى السجون وعفى عن المجرمين، وأحسن إلى الناس، وكان عاقلا فصيحا طموحا إلى الفتح، جهز جيشا كبيرا وسيره في السفن بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك، لحصار القسطنطينية، وفي عهده فتحت جرجان وطبرستان، وكانتا في أيدي الترك، وتوفي في دابق وكانت عاصمته دمشق، ومدة خلافته سنتان وثمانية أشهر إلا أياما. انظر: الأعلام ٣/ ١٣٠، ابن الأثير ٥: ١٤ والطبري ٨: ١٢٦.

ولقد رأيتك في المنام كأنما أعطيتني من ريق فيك البارد
وكأن كفك في يدي وكأننا بتنا جميعا في فراش واحد
فطفقت يومي كله متراقدا لأراك في نومي ولست براقد

فلما وصل إليها كتابه ونظرت إليه، بكت لبعده عنها وحنت عليه، وأجابت مسرعة تقول لإرسال ذلك مع الرسول: [الكامل]

خيرا رأيت وكل ما عاينته ستناله مني برغم الحاسد
إني لأرجو أن تكون معانقي فتبيت مني فوق ثدي ناهد
وأراك بين خلاخلي ودمالجي وأراك بين مداخلي ومدالجي

فبلغ ذلك سليمان بن عبد الملك، فأنكحه إياها وأحسن جهازهما.

ويقال: إنه أنجز عتقها[1].

وحكي أن فتى من أشراف السادات كان يهوى جارية اسمها صدقة، فاتفق أن واعدته ليلة ولم تأته، فخرج إلى دارها وسأل عنها، فقيل له: إنها مع جماعة في الطبقة الفلانية. فأسرع نحوها وأراد أن يهجم عليهم، فمنعه الحاجب ولم يرض أن يدخله عليهم، وأغلق الباب في وجهه، فوقف تحت الطبقة وأنشد قائلا: [مجزوء الكامل]

يا أهل هذي الطبقه هل عندكم من شفقه
لسائل قد جاءكم يطلب منكم صدقه

فسمعه بعض من في الطبقة، ثم أشرف عليه بعض الجماعة وقال مجيبا له على أحسن حال: [مجزوء الكامل]

يا من يروم الشفقه بمهجة محترقه

(١) العقد الفريد ٢/ ٤١١، والإماء الشواعر ٢٤، والمستطرف ١/ ٣٩٤، وديوان الصبابة ٥٩، وربيع الأبرار١/ ٢٩٨.

جدك يا ذا لم يحل أخذك منا صدقه

فلما سمع الشاب هذا الشعر خجل وانصرف وقلبه يلتهب حبا وغراما ومهجته تشتعل وجدا وهياما، ولم يستقر له قرار ولم يكن عنده أدنى اصطبار، ولكن دعته الصورة إلى ذلك على ما فيه من اقتحام المهالك، والأمر يومئذ لله إذ لا ينفع ولا يضر أحد سواه[١].

وحكي أن بعض الظرفاء قال: كانت لي جارية ظريفة، وكنت أحبها حبا شديدا، قالت لي يوما: يا مولاي، كنت تنشد أبياتا أولها خليلي.

فقلت لها: لعلها قول العباس بن الأحنف[٢]: [الطويل]

خليلي ما للعاشقين قلوب ولا للعيون الناظرات ذنوب
فيا معشر العشاق ما أوجع الهوى إذا كان لا يلقى الحبيب حبيب

قالت: لا غير هذا.

فقال لها: كيف هو؟

فقالت[٣]: [الطويل]

خليلي ما للعاشقين أيور ولا لحبيب ما ينال سرور
فيا معشر العشاق ما أوجع الهوى إذا كان في أير المحب فتور

ففطن لذلك فقام إليها واعتنقها وجامعها، فكان هذا جل مقصدها وغاية مرادها وموردها[٤].

فانظر يا أخي تلك القضية وتأمل كم للنساء من بلية.

---

(١) ثمرات الأوراق ٢٠١.

(٢) ديوانه ٤٥.

(٣) البيتان في ديوان عنان الناطفية ٣٥.

(٤) الإماء الشواعر ٢٧.

وحكي أن محمد بن سكرة[١] أحب غلاما أعرج، فلامه الناس على ذلك فأنشد قائلا[٢]: [الكامل]

قالوا بليت بأعرج فأجبتهم العيب يحدث في غصون البان
إني أحب حديثه وأريده للنوم لا للحرب في الميدان

وحكي عن بعض الأدباء أنه كان يعشق جارية فقالت له: أأنت صحيح الحب كامل الوفاء؟

فقال لها: نعم.

فقالت: امض بنا حيث شئت.

فلما حصل في منزله لم يكن له اهتمام إلا برفع ساقيها، فرفعهما وجعل يجامعها وهي آخذة منه بمجامع جوارحه، فقالت له ـ وهما في أثناء العمل ـ: [البسيط]

أسرفت في نيكنا والنيك مصلحة فارفق بفضلك إن الرفق محمود

فأجابها وهما في العمل أيضا بقوله: [البسيط]

ولم أَنِكْ نيكَ من تبقى مودته لكن نيكيَ هذا النيك مجهود

ففزعت من تحته وقالت له: يا فاسق أراك على خلاف ما قلت كأنك تجعل جماعي هذا سببا لذهاب حبك، والله لا جمعني وإياك سقف بعد هذا أبدا.

وحكى أحمد بن الفضل أن غلاما وجارية كانا في كُتَّاب ـ وكان هذا

---

(١) محمد بن سكرة (٣٨٥هـ/٩٩٥م) هو: محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي، البغدادي المعروف بابن سكرة (أبو الحسن) أديب، شاعر. من آثاره: ديوان شعر، يزيد على خمسين ألف بيت.

ترجمته في: معجم المؤلفين ١٠/ ٢٤٧.

(٢) انظر: يتيمة الدهر ١/ ٣١٣، وفيات الأعيان ٤/ ٤١١.

الغلام عريف الكتاب ـ فهوي الغلام الجارية ، فلم يزل يتلطف بمعلمه حتى صيره قريبا منها ، فلما كان في بعض إيابه استغفل الغلمان ، وكتب في لوح الجارية[1] : [البسيط]

ماذا تقولين فيمن شفه سقم ... من طول حبك حتى صار حيرانا

فلما رأته الجارية تغرغرت عيناها وسال دمعها من شدة مبكاها رحمة منها له وشدة رقة ، وكتبت تحته هذا البيت تقول : [البسيط]

إذا رأينا محبا قد أضرَّ به ... طول الصبابة أوليناه إحسانا

فجاء المعلم فسمع الكلام منهم فأخذ اللوح وكتب هذين البيتين : [البسيط]

صلى العريف ولا تخشين من أحد ... أمسى العريف صغير السن ولهانا

أما الفقيه فلا يسطو عليه أذى ... فإنه قد بلي بالعشق ألوانا

فحينئذ أصل المواصلة حصول المراسلة .

وحكي عن أحمد بن أبي عثمان الكاتب أنه كان صديقا لأبي الفضل عبد الغفار الأنصاري ، فعشق أحمد جارية لأم جعفر اسمها نعمى ، وهام بها وجدا ، وتولع بها أياما عددا ، فأطلعه على سرّه ووصفها له فعشقها عبد الغفار الأنصاري ، فاعتل علة طويلة فاتصل خبره بأم جعفر ، وظنت أن به علة ، فوجهت إليه طبيبا فحين رأى ذلك الطبيب أنشد قائلا : [الخفيف]

أرسلت أم جعفر لي طبيبا ... لدوائي فضلَّ علم الطبيب

فدوائي وأصل دائي لديها ... في يدي شادن غرير ربيب

خبروها بأن نعمى دوائي ... كي تداوي مريضها عن قريب

فسمعت أم جعفر الأبيات وسألت عن قصته ، فلما وقفت عليها وهبته

---

(١) ديوان الصبابة ، ٣٢٧.

الجارية وهجر أحمد عبد الغفار وقال : جعلتك موضعا لسري فأفسدت علي[١] .

وحكي عن الأصمعي أنه قال : دخلت البصرة أريد بادية بني سعد ، وكان على البصرة يومئذ واليا خالد بن عبد الله القسري[٢] ، فدخلت عليه يوما فوجدت قوما متعلقين بشاب ذي جمال وكمال وأدب ظاهر بوجه زاهر ، حسن الصورة طيب الرائحة جميل البزة عليه سكينة ووقار ، فقدموه إلى خالد فسألهم عن قصته فقالوا : هذا لص أصبناه البارحة في منازلنا .

فنظر إليه خالد فأعجبه حسن هيئته ونظافته ، فقال : خلوا عنه .

ثم أدناه منه وسأله عن قصته فقال : إن القول ما قالوه والأمر على ما ذكروه .

فقال له خالد : ما حملك على ذلك وأنت في هيئة جميلة وصورة حسنة ؟

فقال : حملني الشرد في الدنيا ، وبذا قضى الله سبحانه وتعالى .

فقال له خالد : ثكلتك أمك أما كان لك في جمال وجهك ، وكمال عقلك وحسن أدبك زاجر عن السرقة ؟

قال : دع عنك هذا أيها الأمير ، وأنفذ فيّ ما أمرك الله تعالى به ، فذلك بما

---

(١) ديوان الصبابة ٢١٢.

(٢) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري ، من بجيلة ، أبو الهيثم (٦٦ ـ ١٢٦هـ) : أمير العراقين ، وأحد خطباء العرب وأجوادهم ، يماني الأصل ، من أهل دمشق ، ولي مكة سنة ٨٩ هـ للوليد بن عبد الملك ، ثم ولاه هشام العراقين (الكوفة والبصرة) سنة ١٠٥ هـ ، فأقام بالكوفة ، وطالت مدته إلى أن عزله هشام سنة ١٢٠ هـ وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن يحاسبه ، فسجنه يوسف وعذبه بالحيرة ، ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد ، وكان خالد يرمى بالزندقة ، وللفرزدق هجاء فيه . انظر : الأعلام ٢/ ٢٩٧، الأغاني ١٩: ٥٣ ـ ٦٤ وتهذيب ابن عساكر ٥: ٦٧ ـ ٨٠ والوفيات ١: ١٦٩ وابن خلدون ٣: ١٠٥ وما قبلها ، وابن الاثير ٤: ٢٠٥ ثم ٥: ١٠١.

كسبت يداي وما الله بظلام للعبيد.

فسكت خالد ساعة يفكر في أمر الفتى، ثم أدناه منه، وقال له: إن اعترافك على رءوس الأشهاد قد رابني، وأنا ما أظنك سارقا، وإن لك قصة غير السرقة، فأخبرني بها.

فقال: أيها الأمير لا يقع في نفسك شيء سوى ما اعترفت به عندك، وليس لي قصة أشرحها لك، إلا أني دخلت دار هؤلاء فسرقت منها مالا، فأدركوني وأخذوه مني وحملوني إليك، فأمر خالد بحبسه، وأمر مناديا ينادي في البصرة: ألا من أحب أن ينظر إلى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغد.

فلما استقر الفتى في الحبس، ووضع في رجليه الحديد تنفس الصعداء، وأنشد قائلا: [المنسرح]

هددني خالد بقطع يدي ... إذ لم أبح عنده بقصتها
فقلت هيهات أن أبوح بما ... تضمن القلب من محبتها
قطع يدي بالذي اعترفت به ... أهون للقلب من فضيحتها

فعند ذلك سمعه الموكلون بالسجن، فأتوا خالدا وأخبروه بذلك، فلما جن الليل أمر خالد بإحضاره عنده، فلما حضر استنطقه فرآه أديبا عاقلا لبيبا ظريفا، أعجب به فأمر له بطعام، فأكلا وتحادثا ساعة، ثم قال له خالد: قد علمت أن لك قصة غير السرقة، فإذا كان الغد وحضر الناس والقضاة وسألتك عن السرقة، فأنكرها واذكر فيها شبها تدرأ عنك القطع؛ فقد قال رسول الله ﷺ: **«ادرءوا الحدود بالشبهات»**[1].

---

(١) أورده الباغندي في مسند عمر بن عبد العزيز (ص ٢٦٦، رقم ٤٨ ـ طبعة مكتبة دار الدعوة)، وعزاه لأبي مسلم الكجي، وابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد. وأورده السخاوي في =

ثم أمر به إلى السجن، فلما أصبح الصباح لم يبق أحد من أهل البصرة لا ذكر ولا أنثى إلا حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى، وركب خالد ومعه وجوه وأعيان أهل البصرة وغيرهم، ثم دعا بالقضاة وأمر بإحضار الفتى، فأقبل يخجل في قيوده ولم يبق أحد من الناس من رجال ونساء إلا بكى عليه، وارتفعت أصوات النساء بالبكاء والنحيب، فأمر خالد بتسكين الناس، فإنها كادت أن تكون فتنة.

ثم قال له خالد: إن هؤلاء القوم يزعمون أنك دخلت لعلك سرقت دون النصاب؟

فقال بل: سرقت نصابا كاملا.

قال: فلعلك سرقته من غير حرز مثله؟

قال: بل من حرز مثله.

قال: فلعلك شريك القوم في شيء منه؟

قال: بل هو جميعه لهم لا حق لي فيه.

فغضب خالد وقام إليه بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلا بهذا البيت[1]: [الوافر]

يريد المرء أن يعطى مناه ... ويأبى الله إلا ما أرادا

ثم دعا بالجلاد ليقطع يده، فحضر وأخرج السكين ومد يده ووضع عليها

= المقاصد (ص ٣٠، رقم ٤٦) وعزاه لأبي سعد بن السمعاني في الذيل في ترجمة الحسين بن علي بن أحمد الخياط المقرئ. قال العجلوني (٧٣/١): قال السخاوي: قال شيخنا ـ يعني الحافظ ابن حجر ـ: وفي سنده من لا يعرف انتهى.

(١) البيت ينسب للشافعي في ديوانه ٣٨، وينسب لأبي الدرداء في أخبار أبي القاسم الزجاجي ص ٦، وربيع الأبرار ١/ ٤١٧.

السكين، فبادرت جارية من صف النساء عليها آثار وسخ، فصرخت ورمت بنفسها على الغلام ثم أسفرت عن وجه كأنه البدر، وارتفع للناس ضجة عظيمة كاد أن تقع منها فتنة، ثم نادت بأعلى صوتها: ناشدتك الله أيها الأمير لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة، ثم دفعت إليه رقعة ففضها خالد فإذا هي مكتوب فيها هذه الأبيات: [الطويل]

أخالد هذا مستهام متيم ... رمته لحاظي من قسي الحمالق
فأصماه سهم اللحظ مني فقلبه ... حليف جوى من دائه غير فائق
أقر بما لم يقترفه لأنه ... رأى ذاك خيرا من هتيكة عاشق
فمهلا على الصب الكئيب لأنه ... كريم السجايا في الهوى غير سارق

فلما قرأ خالد الأبيات تنحى وانعزل عن الناس، وأحضر المرأة، ثم سألها عن القصة، فأخبرته أن هذا الفتى عاشق لها وهي له كذلك، وأنه أراد زيارتها وأن يعلمها بمكانه، فرمى بحجر إلى الدار، فسمع أبوها وإخوتها صوت الحجر عند الرمي، فصعدوا إليه، فلما أحس بهم جمع قماش البيت كله وجعله صرة، فأخذوه وقالوا: إن هذا سارق. وأتوا به إليك فاعترف بالسرقة، وأصر على ذلك حتى لا يفضحني بين إخوتي، وهان عليه قطع يده لكي يستر علي ولا يهتك الستر، كل ذلك لغزارة مروءته وكرم نفسه.

فقال خالد: إنه خليق بذلك حقيق بما تقولينه مما هنالك، ثم استدعى الفتى إليه وقبل ما بين عينيه وأمر بإحضار أبي الجارية، وقال له: يا شيخ، إنا كنا عزمنا على إنفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع، وإن الله عز وجل قد عصمنا من ذلك، وقد أمرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده وحفظه لعرضك وعرض ابنتك وصيانته لكما من العار، وقد أمرت لابنتك بعشرة آلاف درهم أيضا، وأنا أسألك أن تأذن لي في تزويجها منه.

فقال الشيخ : قد أذنت يا أيها الأمير بذلك .

فحمد الله خالد وأثنى عليه بما هو أهله وخطب خطبة حسنة وزوجها منه بقوله للفتى : قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة بإذنها ورضاها وإذن أبيها على هذا المال وقدره عشرة آلاف درهم .

فقال الفتى : قبلت منك هذا التزويج . وأمر بحمل المال إلى دار الفتى مزفوفا في الصواني ، وانصرف الناس مسرورين ، ولم يبق أحد في سوق البصرة إلا نثر عليهما اللوز والسكر والدراهم حتى دخلا منزلهما مسرورين مزفوفين .

قال الأصمعي : فما رأيت يوما أعجب من ذلك اليوم أوله بكاء وترح وآخره سرور وفرح[1] .

* * *

(١) إعلام الناس بما وقع للبرامكة ٨٨.

خاتمة الكتاب

وتحفة لذوي الآداب

أقول: اعلم أن حقيقة العشق، وبيان ما ينشأ عنه ذلك، وأصل التغزل بالذوات الحسنة وألفة النفس لها ـ إنما هو ناشئ عن النظر بالعين ولكن محله القلب.

وسئل أفلاطون[١] عن العشق فقال: هو لا يعرض إلا لأهل الفراغ. أي الذين لا اشتغال لهم بشيء[٢].

وقال بعضهم: العشق داء عارض يصطاد قلبا خليا، ويورثه ألما جليا يحزك منه الساكن ويسكن فيه الداء المائن.

---

(١) أفلاطون بن أرسطون أحد أساطين الحكمة الخمسة من يونان كبير القدر فيهم مقبول القول بليغ في مقاصده أخذ عن فيثاغورس اليوناني وشارك سقراط في الأخذ عنه وَلَمْ يشتهر ذكره بَيْنَ علماء يونان إلاَّ بعد موت سقراط وَكَانَ أفلاطون شريف النسب في بيوت يونان من بيت علم واحتوى عَلَى جميع فنون الطبيعة وصنف كتباً كثيرة مشهورة في فنون الحكمة وذهب فِيهَا إِلَى الرمز والإغلاق واشتهر جماعة من تلاميذه المتخرجين عَلَيْهِ وسادوا بانتسابهم إِلَيْهِ وَكَانَ يعلم الطالبين الفلسفة وهو ماش وسمى الناس فرقته المشائين وفوض في آخر عمره المفاوضة والتعليم والتدريس إِلَى أرشد أصحابه وانقطع إِلَى العبادة والاعتزال وعاش ثمانين سنة وَكَانَ أفلاطون في قديم يميل إِلَى الشعر وأخذ منه بخط متوفر ثُمَّ حضر مجلس سقراط فرآه يذم الشعر وأهله ويقول هي خيالات تشعر بالخلائق لا عَلَى الحقيقة وطلب الحقائق أولي فتركه عند ذَلِكَ أفلاطون ثُمَّ انتقل إِلَى قول فيثاغورس في الأشياء المعقولة ويقال أنه عاش إحدى وثمانين سنة وعنه أخذ أرسطوطاليس وخلفه بعد موته وقال إسحاق أنه أخذ عن سقراط وتوفي أفلاطون في السنة الَّتِي ولد فِيهَا الإسكندر.

ترجمته في أخبار العلماء بأخيار الحكماء للقفطي، ص ١١.

(٢) ربيع الأبرار ٣/٢١٠٢

وأقول : إنه لا يكون غالبا إلا لذات حسنة ذات ألفاظ حسنة وأدب كامل ، وقد كسي ثوب الملاحة والجمال .

وقال بعض الحكماء : العشق طائر لا يلتقط إلا حبة القلب .

قال الشاعر الذي هو في الحب ماهر[١] : [الطويل]

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبي خاليا فتمكنا

قال أبو الريحان البيروني[٢] في كتابه المسمى **بالجماهر** أن الحسن في الصورة ، والجمال في الهيئة ، وهما محبوبان بالطبع حتى إن رسول الله ﷺ كان يستوفد حسان بن ثابت[٣] رضي الله عنه صورته .

---

(١) البيت ليزيد بن الطثرية في ديوانه ٦٤، وأخبار أبي تمام ٢٦٤، وينسب للمجنون في البيان والتبيين ٢/ ٤٥.

(٢) محمد بن أحمد ، أبو الريحان البيروني الخوارزمي (٢٦٢ ـ ٤٤٠هـ) : فيلسوف رياضي مؤرخ ، من أهل خوارزم ، أقام في الهند بضع سنين ، ومات في بلده ، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود ، وعلت شهرته ، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره ، وصنف كتبا كثيرة جدا ، متقنة ، رأى ياقوت فهرستها بمرو ، متقنة ، رأى ياقوت فهرستها بمرو ، في ستين ورقة بخط مكتنف ، وياقوت مكثر من النقل عن كتبه ، منها : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، والاستيعاب في صنعة الاسطرلاب ، والجماهر في معرفة الجواهر ، وتاريخ الأمم الشرقية . انظر : الأعلام ٥/ ٣١٤، حكماء الإسلام ٧٢ وبغية الوعاة ٢٠ وإرشاد الأريب ٦: ٣٠٨ وتاريخ مختصر الدول ٣٢٤ والذريعة ١: ٥٠٧ ثم ٢: ٢٦.

(٣) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري ، أبو الوليد (ت ٥٤) : الصحابي ، شاعر النبي ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، عاش ستين سنة في الجاهلية ، ومثلها في الإسلام ، وكان من سكان المدينة ، واشتهرت مدائحه في الغسانيين ، وملوك الحيرة ، قبل الإسلام ، وعمي قبيل وفاته ، لم يشهد مع النبي ﷺ مشهدا ، لعلة أصابته ، وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه ، وكان شديد الهجاء ، فحل الشعر . انظر : الأعلام ٢/ ١٧٥، ١٧٦، تهذيب التهذيب ٢: ٢٤٧ والإصابة ١: ٣٢٦ وابن عساكر ٤: ١٢٥ ومعاهد التنصيص ١: ٢٠٩ وخزانة البغدادي ١: ١١١.

وقد أجمع الحكماء وعموم الأطباء على أن النظر إلى الصورة الجميلة اللطيفة يفرح النفس وينشطها، ويقوي القلب قوة لا مزيد عليها.

وقد قيل: إن بعض الظرفاء كان ينظر إلى الذات الحسنة ويتأمل في محاسنها أشد التأمل، ويقصد بذلك التدبر في صنع الباري جل وعلا.

وقد قيل في هذا المعنى[1]: [الطويل]

أنزه في روض المحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال محرما
ولا أرتضي فعل القبيح وإنما أشاهد صنع الله في الحسن أعظما

وقال بعضهم: يقال في المليح جميل، ولا يقال في الجميل مليح؛ فالجميل الذي إذا نظرت إليه من بعيد أخذ جملة بصرك، وإذا قرب منك لم يأخذ من بصرك شيئا، والمليح بخلاف ذلك.

واعلم أن أحسن الحسن ما لم يجلب بتزيين وتحسين، بل يكون ذاتيا بكمال أوصاف الذات من أصل خلقتها إلا بزينة حادثة، قال امرؤ القيس[2]

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٠، ومصارع العشاق ٢٣٥.

(٢) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المُرار (١٣٠ - ٨٠ قهـ): أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن، اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عدي، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته، فأبعده إلى دمون بحضرموت، موطن آبائه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره، فأقام زهاء خمس سنين، ثم جعل يتنقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فبلغ ذلك امرأ القيس وهو جالس للشراب فقال: رحم الله أبي! ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم ولا سكر غدا! اليوم خمر وغدا أمر! ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعرا كثيرا، وكانت حكومة فارس ساخطة على بني آكل المرار (آباء امرئ القيس) فأوعزت إلى المنذر (ملك العراق) بطلب امرئ=

(شطر بيت)[١] : [الطويل]

وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

قيل لصوفي : لم تصفر الشمس عند الغروب ؟

فقال : حزن الفراق أورثها ذلك[٢] .

وقد قال رجل لسيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام : إني أحبك .

فقال : ما رأيت في الحب خيرا ؛ أحبني أبي فألقيت في الجب ، وأحبتني امرأة العزيز فألقيتُ في السجن .

ثم قال له : عافني من ذلك عافاك الله[٣] .

تنبيه :

قسم بعضهم الشمائل فقال :

= القيس ، فطلبه ، فابتعد ، وتفرق عنه أنصاره ، فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل ، فأجاره ، فمكث عنده مدة ، ثم رأى أن يستعين بالروم على الفرس ، فقصد الحارث بن أبي شمر الغساني (والي بادية الشام) فسيره هذا إلى قيصر الروم يوستينيانس في القسطنطينية ، فوعده ومطله ، ثم ولاه إمرة فلسطين (البادية) ولقبه فيلارق أي الوالي ، فرحل يريدها ، فلما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح ، فأقام إلى أن مات في أنقرة . انظر : الأعلام ٢/ ١١، ١٢، الأغاني طبعة دار الكتب ٩: ٧٧ وتهذيب ابن عساكر ٣: ١٠٤ وشرح شواهد المغني ٦ وجمهرة ٣٩ والزوزني ٢ وابن قتيبة في الشعر والشعراء ٣١ وخزانة البغدادي ١: ١٦٠ ثم ٣: ٦٠٩ - ٦١٢ والذريعة ٢: ٣٤٩.

(١) عجز بيت ، وصدره :

ألم تراني لكما جئت طارقا

انظر : ديوانه ١٠٥.

(٢) محاضرات الأدباء ٢/ ١٢٢.

(٣) الكشكول ٢/ ٢٩.

* الصباحة في الوجه .
* والوضاءة في البشرة .
* والجمال في الأنف .
* والحلاوة في العينين .
* والملاحة في الفم .
* والظرف في اللسان .
* والرشاقة في القد .
* واللياقة في الشمائل .
* والبداعة في المحاسن .
* والدقة في الأطراف .
* وكمال الحسن في الشعر[1] .

وليعلم أن أشد الناس عشقا وغراما ، وأقواهم وجدا وهياما ، وأغرقهم في المحبة سكرا ، وأشهرهم في الهوى ذكرا هم بنو عذرة .

قال سعيد بن عقبة الهمداني : لقيت أعرابيا فقلت له : ممن أنت ؟

قال : من قوم إذا عشقوا ماتوا .

قلت : هل أنت عذري ؟

قال : نعم .

فسألته وقلت له : لم ذاك ؟

فقال : لأن في نسائنا صباحة وفي رجالنا عفة[2] .

---

(١) عيون الأخبار ٢/ ٤١.

(٢) مصارع العشاق ٣٠١، وديوان الصبابة ١٥٤.

قال العلامة الشريشي[١] في **شرح المقامات** : اعلم أن بني عذرة قبيلة معروفة يستلذون مرارة العشق مثل الضرب ، جبلت المحبة في طينتهم ، وصار الهوى وصفهم الذي لا ينفك ورهن قلوبهم ، تتمكن منهم حرارة العشق ؛ فمنهم من يموت من غرامه ، ومنهم من يموت بهيام سقامه ، ولذا سئل أعرابي منهم فقيل له : ما حد العشق عندكم ؟

فقال : أعين تتلاحظ ، وألسن تتلافظ ، وعِدَة تُقضى ، وإشارات تدل على السخط والرضا . انتهى .

واعلم أن في حد المحبة والعشق كلاما كثيرا ؛ فقيل : هو الميل الدائم بالقلب الهائم .

وقيل : هي قيامك لمحبوبك بكل ما يحبه منك .

وقيل لبزرجمهر : متى يكون الإنسان بليغا ؟

فقال : إذا صنف كتابا ، أو وصف هوى ، أو أحب جميلا .

وكان بزرجمهر وزيرا لكسرى ، وكان أزكى وزرائه وأشدهم فطنة وأعلمهم بأمور المملكة ، وخامر الأمور المشكلة ، واقتحم المشاق المهلكة .

وقد قال العباس بن الأحنف[٢] : [الطويل]

وما الناس إلا العاشقون أولو الهوى ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال آخر[٣] : [الطويل]

---

(١) أحمد بن عبد المؤمن بن موسى ، أبو العباس القيسي الشريشي (٥٥٧ ـ ٦١٩هـ) : من العلماء بالأدب والأخبار ، نسبته إلى شريش بالأندلس ، ومولده ووفاته فيها ، كان يقرئ بها العربية وعلوم الأدب . انظر : الأعلام ١/ ١٦٤، نفح الطيب ١: ٣٨٢.

(٢) انظر : ديوانه ١٠٩.

(٣) ديوان الصبابة ٥٠.

ولا خير في الدنيا بغير صبابة ولا في نعيم ليس فيه حبيب

ولنذكر من فضائل العشق المحمودة، وخصاله المسعودة اللطيفة على الحقيقة، بل الشريفة الشريقة بعضا ينشرح له البال ويطيب به البلبال.

قال بعض العلماء: العشق له فضيلة تنتج الحيلة، وتشجع الجبان، وتقوي الجنان، وتسخي كف البخيل، وتشفي السقيم العليل، وتصفي ذهن الغبي، وينطق له اللسان بالشعر، وهو أساس داعية الأدب، وأول باب تنتفق به الأذهان والفطن، وتستخرج به دقائق المكائد والحيل، وإليه تستريح الهمم، وتسكن نوافر الأخلاق والشيم، ويتمتع به الجليس ويؤانس الأليف، وله سرور، ويجول في النفوس، وفرح يسكن في القلوب، وكلام العشاق مع منادميهم يزيد في ذكاء العقول، وتحريك النفوس، وطرب الأرواح، وجلب الأفراح، ويتشوق الملوك إلى سماع أخبار العاشقين، وكذلك الشجعان والأبطال، وعندهم أنه يعشق ويذكر بالعشق ويشهر به فيذكر في المجالس عند الخلفاء والملوك، ومن دونهم خير له من أن يذكر ويشهر بغير ذلك، بل هذا عندهم من أشرف الأوصاف وأدعى للإنصاف، فأخبار العاشقين تدور وتروى أشعارهم وهي أحرى وأجدر بما ذكر شعارهم، ويبقى العشق للواحد منهم ذكرا مخلدا في الغابرين ونشرا يذكر به في الآخرين، ولولا العشق لم يذكر له اسم ولا جرى له رسم[1].

قيل لبعض العلماء: إن ابنك قد عشق.

فقال: الحمد لله الآن رقت حواشيه، ولطفت معانيه، وملحت إشاراته، وظرفت حركاته، وحسنت عباراته، وجادت رسائله.

---

(١) تزيين الأسواق ٣٨.

ولما كان الجمال ـ من حيث هو ـ محبوبا للنفوس معظما في القلوب، لم يبعث الله تعالى نبيا إلا جميل الوجه، كريم الحسب، حسن الصوت، كما قال علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وقد سئل أكان: وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟

قال: لا بل مثل القمر.

وفي صفته ﷺ: كأن الشمس تجري في وجهه، فكان ﷺ كما قال شاعره حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه[1]: [الطويل]

متى يبد في الليل البهيم جبينه يَلُحْ مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان أو من ذا يكون كأحمد نظام لحق أو نكال لمعتدي

وقال آخر[2]:

وأجمل منك لم تر قط عيني وأحسن منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

وفي هذا القدر كفاية لهذا الباب؛ إذ يزول بما ذكر ما يستولي على العقل من الارتياب، ومن هنا قد لاح لي أن أذكر طرفا يسيرا من الأغزال الفائقة والأشعار الرائقة فقلت:

* * *

(١) ديوانه ص ٣٨٠.

(٢) البيتان ينسبان لحسان في المستطرف في كل فن مستظرف ١/ ٢٣١، ٢٥٦.

الباب الثامن عشر

في ذكر طرف يسير من الأغزال الفائقة والأشعار الرائقة ونذكر فيه من محاسن الحبيب ما يطرب سماعه ويصعد لطالع الحسن ارتفاعه

واعلم أن أغزل بيت قالته العرب قول بشار[١] : [الخفيف]

أنا والله أشتهي سحر عينيـ ـك وأخشى مصارع العشاق[٢]

وما أحسن قول بعضهم[٣] : [مجزوء الرمل]

ومليح قال صفني أنت في القول فصيح .
قلت قولا باختصار كل ما فيك مليح

وقال إبراهيم المعمار : [مجزوء الرمل]

ومليح قال صفني وهو قد زاد سرورا
كم حوى جفني معنى قلت ألفا وكسورا

---

(١) بشار بن برد العقيلي ، بالولاء ، أبو معاذ (٩٥ ـ ١٦٧هـ) : أشعر المولدين على الإطلاق ، أصله من طخارستان (غربي نهر جيحون) ونسبته إلى امرأة عقيلية قيل إنها أعتقته من الرق ، وكان ضريرا ، نشأ في البصرة وقدم بغداد ، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية ، وشعره كثير متفرق من الطبقة الأولى ، قال الجاحظ : (كان شاعرا راجزا ، سجاعا خطيبا ، صاحب منثور ومزدوج ، وله رسائل معروفة) . واتهم بالزندقة فمات ضربا بالسياط ، ودفن بالبصرة ، وكانت عادته إذا أراد أن ينشد أو يتكلم ، أن يتفل عن يمينه وشماله ويصفق بإحدى يديه على الأخرى ثم يقول ، وأخباره كثيرة . انظر : الأعلام ٢/ ٥٢، وفيات الأعيان ١: ٨٨ ومعاهد التنصيص ١: ٢٨٩ وتاريخ بغداد ٧: ١١٢ والشعر والشعراء ٢٩١ وأمالي المرتضى ١: ٩٦ ـ ٩٨ وخزانة البغدادي ١: ٥٤١.

(٢) ديوانه ٤/ ١١٧.

(٣) ديوان الصبابة ٤١٩.

وقال الآخر[١] : [مجزوء الرمل]

ومليح قلت ما الاسـ ـم حبيبي؟ قال مالك
قلت صف لي وجهك الزا هي وصِفْ لين اعتدالك
قال كالبدر وكالغصـ ـن وما أشبه ذلك

وقول الآخر[٢] : [الدوبيت]

أهوى رشأ رُشَيِّق لقد حُلِّي قد سلطه الغرام والوجد عليّ
قلت له خذ روحي قال وا عجبي الروح لنا فهات من عندك شي

وقال الآخر[٣] : [المتقارب]

أقول وكفي على خصرها تطوف وقد كاد يخفى علي
أخذت عليك عهود الهوى وما في يدي منك يا خصر شي

وقال الصلاح الصفدي[٤] : [مخلع البسيط]

بسهم ألحاظه رماني فذبت من هجره وبينه
إن مت ما لي سواه خصم لأنه قاتلي بعينه

ولا يخفى ما في هذا من التورية التي هي أرق من نسمات الأسحار وأحلى عند الشباب من افتضاض الأبكار.

وقال آخر : [الطويل]

فلو كان للعشاق في الحب حاكم أتيت إليه واشتكيت مطاله
وأثبت في شرع المحبة حجة عليه بأني أستحق وصاله

---

(١) الأبيات لإبراهيم بن عبد الله الصوابي ، انظر : الوافي بالوفيات ٢/ ٢١١، وذيل مرآة الزمان ١/ ٥.

(٢) دوبيت لعمر بن الفارض في ديوانه ص ١١٣.

(٣) البيتان للسراج الوراق في فوات الوفيات ٣/ ١٤٦.

(٤) انظر : الدرر الكامنة ١/ ٢١٥، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٩٢، تزيين الأسواق ص ١٧٦.

وقال الآخر : [البسيط]

يا من إذا ما تبدى يخجل القمر ... رفقا فما لفؤادي عنك مصطبر
بكيت يا سيدي مذ غبت عن نظري ... حتى بكى رحمة من أجلي المطر

وقال ابن رشيق[١] : [السريع]

معتدل القامة والقد ... مورد الوجنة والخد
قل للذي يعجب من حسنه ... اقرأ عليه سورة الحمد

وقال أيضا[٢] : [السريع]

شكوت بالحب إلى ظالمي ... فقال لي مستهزئا ما هو
قلت غرام ثابت قال لي ... اقرأ عليه قل هو الله

وقال يحيى الخباز[٣] :

طلبت منه قبلة قال لي ... إياك أن تطمع في القرب
البوس شاليش وقد أختشي ... أن يتبع الشاليش بالقلب

وقال السراج الوراق[٤] :

قال من شبه ريقي ... بالزلال العذب زلا
إنما ريقي شبيه ... قلت ذا من فيك أحلى

وقال الآخر[٥] : [الكامل]

أرأيت من يرضى الفراق لإلفه ... أنا قد رضيت لنا بأن نتفرقا

---

(١) ديوانه ٢٨٨، وانظر : ديوان الصبابة ص ٨١.
(٢) ديوانه ٣٢٢، وانظر : ديوان الصبابة ص ٨١.
(٣) ديوان الصبابة ص ٨١.
(٤) ديوان الصبابة ص ٨١.
(٥) سلك الدرر ٤/ ٢١٤.

حتى أفوز بقبلة في خده عند الوداع ومثلها عند اللقا

وقال آخر: [الكامل]

وغزالة وعدت تزور محبها في النوم كي تشفى بها الأسقام
فأجبتها مستبشرا بوصالها يا حبذا إن صحَّت الأحلام

وقلنا نحن:

نادمتني ضحى وكان عليها حلة تشبه السماء صفاء
فتوهمت أن مجلس أنسي زاد فيه لنا السماء ضياء

وقلنا أيضا: [البسيط]

منجم الحسن لما أن رأى قمري واستكشف القد منه قاس بالملك
وقال دائرة الخصر النحيل به موهومة ولذا قامت على الفلك

وقلنا أيضا: [الطويل]

ألا إن أنسي وابتهاج أحبتي هما مطلبي الأعلى وغاية بغيتي
وظني لأنسى حيث بان منغص فلا كان من أخشاه عند مسرتي

وقال الآخر:

كيف تبقى للعاشقين قلوب وهي من جمرة الغرام تذوب
كيف ينسى المحب ذكر حبيب واسمه في فؤاده مكتوب

وقال الآخر[1]: [الكامل]

يا محرقا بالنار وجه محبه مهلا فإن مدامعي تطفيه
أحرق بها جسدي وكل جوارحي واحرص على قلبي لأنك فيه

وقال الآخر: [الكامل]

حكم الزمان بأنني لك عاشق يا من محاسنه كبدر يشرق

(١) تزيين الأسواق ٢٦٨.

حزت الفصاحة والملاحة كلها وعليك من رب البرية رونق
ولقد رضيت بأن تكون معذبي فعسى علي بنظرة تتصدق
من مات فيك صبابة فله الهنا لا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال الملك الأمجد[١]:

من مثلي في عصري بستاني في قصري
معشوقي مملوكي غنى لي من شعري[٢]

وقال الآخر[٣]: [الوافر]

شفاء الحب تقبيل وشم ووضع للبطون على البطون
ورهز تذرف العينان منه وأخذ بالمناكب والقرون

وقال التقي العيدروس[٤]: [مجزوء الكامل]

قالت وقد ودعتها والدمع مني كالمطر
أتفارق الوجه الذي حاكاه إشراق القمر

(١) بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب (ت ٦٢٨هـ): شاعر، من ملوك الدولة الأيوبية، كان صاحب بعلبك، تملكها بعد والده تسعا وأربعين سنة وأخرجه منها الملك الأشرف سنة ٦٢٧ هـ فسكن دمشق وقتله مملوك له، بسبب دواة ثمينة سرقها المملوك وحبسه الأمجد في قصره، واحتال المملوك فخرج وأخذ سيف الأمجد وهو يلعب بالشطرنج أو بالنرد فطعنه في خاصرته، وهرب فألقى نفسه عن سطح الدار، وقيل: لحقه المماليك فقتلوه. ودفن الأمجد بتربة أبيه. وقال أبو الفداء: هو أشعر بني أيوب. انظر: الأعلام ٢/ ٧٦، وفيات ٦٢٨ وشذرات الذهب ٥: ١٢٦ وترويح القلوب ٤٩ وأبو الفداء ٣: ١٤٥ ـ ٤٦.

(٢) ديوان الصبابة ص ٢٠.

(٣) البيتان لأم الضحاك المحاربية، انظر: اللآلي في شرح أمالي القالي ٢/ ٦٩٢.

(٤) عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس الحسيني (١١٣٥ ـ ١١٩٢هـ): فاضل، من أهل حضرموت، ولد بها في (تريم) وتوفي بمصر، له: لطائف الجود في مسألة وحدة الوجود، وتنميق الأسفار؛ جمع فيه ما جرى له مع بعض الأدباء في أسفاره، وتنميق السفر؛ فيما جرى عليه وله بمصر. انظر: الأعلام ٣/ ٣٣٨، سلك الدرر ٢: ٣٢٨ وخطط مبارك ٥: ١١ وتاريخ الشعراء الحضرميين ٢: ١٨٩ وثبت ابن عابدين ٤٧ والجبرتي ٢: ٢٧ ـ ٣٤.

فأجبتها بتلهف وتأسف أبكى الحجر
ما حيلتي ستي إذا نزل القضا عمي البصر[١]

وله أيضا[٢] : [مجزوء الكامل]

أنا مغرم بمليحة من بيت شعري واضحه
وعذول قلبي فاسد أبدا وروحي صالحه

وقال الآخر[٣] : [مجزوء الرمل]

يا غزالا لي إليه شافع من مقلتيه
أنا ضيف وجزاء الـ ـضيف إحسان إليه

وقيل في اسم مغنية ظريفة اسمها بلة : [الوافر]

بكت عين السهاد وفرط وجدي لمن أهوى وقد ظهرت أدله
فقلت وقد ضنى التبريح جسمي وكيف أنام حيث عشقت بله

وقال الآخر[٤] : [الكامل المرفل]

مني الوصال ومنكم الهجر حتى يفرق بيننا الدهر
والله لا أسلوكمو أبدا ما لاح بدر أو بدا فجر

وقال الآخر[٥] : [السريع]

سألتها التقبيل من خدها عشرا وما زاد يكون احتساب
فمذ تلاقينا وقبلتها غلطت في العد وضاع الحساب

---

(١) انظر : ديوانه ٣٩.

(٢) انظر : ديوانه ١٠٥.

(٣) البيتان لإبراهيم بن المهدي ، انظر : الأغاني ٣/ ١١٥، المستطرف ٢/ ٣٥١، التذكرة الحمدونية ٣/ ٣٢، الجليس الصالح ص ٣٥١.

(٤) العقد الفريد ٣/ ٢١٤.

(٥) المستطرف ٢/ ٩٠.

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

أقول : ومن الاقتباسات الشعرية من القرآن العظيم الدالة على رفعة القدر بين البرية والجاه الفخيم قول العلامة الأديب السيد محمد أمين الزللي المدني[١] قُدس سره[٢] : [السريع]

يا معشر العشاق أوصيكم حقا وإني من الناصحين
والنجح في نصحي لكم فاسمعوا وصية العاني حليف الأنين
لا توقعوا أنفسكم في الهوى فهو هوان وعذاب مهين .
فامتثلوا الأمر وعنه انتهوا إني لكم منه نذير مبين

فما أرق هذا الاقتباس فوالله لقد وقع للنفوس موقع الإيناس .

وقال علي أفندي الدرويش[٣] صاحب ديوان **الإشعار**[٤] : [الوافر]

طبول الرعد قد دقت وزفت عروس البرق في كلل الغيوم
ونقطنا السحاب بدرّ غيث فرقص الغصن من زمر النسيم

---

(١) محمد أمين بن خبيب بن أبي بكر بن خضر الزللي المدني الخطيب (ت ١٢٤١هـ) : أديب ، له نظم كثير حسن ، واشتغال بالتاريخ ، من أهل المدينة ، صنف كتاب (طبقات الفقهاء والعباد والزهاد) . انظر : الأعلام ٦/ ٤٢، حلية البشر ٣: ١١٩٥ - ١٢٠١.

(٢) حلية البشر٣/ ١١٩٦.

(٣) علي بن حسن بن إبراهيم الأنكوري المصري ، المعروف بالدرويش (١٢١١ - ١٢٧٠هـ) : شاعر ، أديب ، مولده ووفاته في القاهرة ، اتصل بالخديوي عباس الأول ، فكان شاعره ، ولم يكن يتكسب بالشعر ، مكتفيا بما له من مال وعقار ، له ديوان شعر سمي (الإشعار بحميد الأشعار) ، و(الدرج والدرك) في مدح خيار عصره وذم شرارهم ، و(رحلة) ، وكتاب في الخيل ، و(سفينة) في الأدب . انظر : الأعلام ٤/ ٢٧٥.

(٤) ديوان علي الدرويش ١٨٨.

وسرت بعاذلي مسري الهوى بي وكيف يجوز في ليل بهيم
فيا نار الحشا كوني سلاما على ابراهيم لا نار الجحيم

وقال الآخر:

جاءني الحب زائرا وعلى مهجتي عطف
قلت جد لي بقبلة قال خذها ولا تخف

ولابن الوردي[1]:

زار الحبيب بليل وفزت منه بأنسي
وبات وهو ضجيعي وما أبرئ نفسي[2]

ولابن عفيف الدين التلمساني[3]: [مجزوء الرمل]

---

(١) ابن الوردي (٦٩١ ـ ٧٤٩هـ/١٢٩٢ ـ ١٣٤٩م) هو: عمر بن مظفر بن عمر ب محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي: شاعر، أديب، مؤرخ. ولد في معرة النعمان (بسورية) وولي القضاء بمنبج، وتوفي بحلب. من كتبه "ديوان شعر" فيه بعض نظمه ونثره، و"تتمة المختصر" تاريخ، مجلدان، يعرف بتاريخ ابن الوردي، جعله ذيلا لتاريخ أبي الفداء وخلاصة له، و "تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة" نثر فيه ألفية ابن مالك في النحو، و"الشهاب الثاقب" تصوف، و"اللباب في الإعراب" نحو، و"شرح ألفية ابن مالك" نحو، و"شرح ألفية ابن معطي" نحو، "وألفية" في تعبير الأحلام، و"تذكرة الغريب" منظومة في النحو، و"مقامات ـ ط" أدب، و"منطق الطير" منظومة في التصوف، و"بهجة الحاوي ـ ط" نظم بها الحاوي الصغير في فقه الشافعية. وتنسب إليه "اللامية" التي أولها:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل

ولم تكن في ديوانه، فأضيفت إلى المطبوع منه. وكانت بينه وبين صلاح الدين الصفدي مناقضات شعرية لطيفة وردت في مخطوطة ألحان السواجع.

ترجمته في: فوات الوفيات ٢/١١٦، وبغية الوعاة ٣٦٥، والنجوم الزاهرة ١٠/٢٤٠، والأعلام ٥/٦٧.

(٢) الكشكول ٢/١٨.

(٣) ديوان الشاب الظريف ٢٦.

أهيف كالبدر يصلى في قلوب الناس نارا
يمزج الخمر بفيه فترى الناس سكارى

وقال الصلاح الصفدي[١] : [مجزوء الرمل]

رب فلاح مليح قال يا أهل الفتوة
كفلي أضعف خصري فأعينوني بقوة

ولأبي نواس[٢] :

كسر الجرة عمدا وسقى الأرض شرابا
صحت والإسلام ديني ليتني كنت ترابا

وقال الصلاح الصفدي[٣] : [مجزوء الرجز]

يا عاشقين حاذروا مبتسما عن ثغره
فطرفه الساحر إن شككتمو في أمره
يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره

وقال آخر : [الوافر]

رأيت العشق حوشيتم عيونا تسيل دما وأكبادا تشظى
ألا يا معشر العشاق توبوا فقد أنذرتكم نارا تلظى

وقال آخر[٤] :

رجوت طيف خيال وكيف لي بهجوع
والذاريات جنوني والمرسلات دموعي

---

(١) ورد البيتان في ديوان ابن الوردي ٢١٨.
(٢) الكشكول ١/ ١٨٨.
(٣) الأبيات لابن عفيف التلمساني ، انظر : معاهد التنصيص ص ٤١١، ديوان الصبابة ص ٢٨.
(٤) المستطرف ١/ ١٢١.

وقال آخر[١] : [السريع]

نديمتي جارية ساقيه ... ونزهتي ساقية جاريه
جارية أعينها جنه ... وجنة أعينها جاريه

وقال آخر : [الكامل]

يا من أسا فيما مضى ثم اعترف ... كن محسنا فيما بقى تعطى الشرف
واصغى لقول الله في تنزيله ... إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وقال آخر :

إن في القرآن آيه ... حبها للقلب طب
لن تنالوا البر حتى ... تنفقوا مما تحبوا

وقال الآخر[٢] : [الهزج]

لئن أخطأت في مدحي ... ك قد أخطأت في منعي
لقد أنزلت حاجاتي ... بواد غير ذي زرع

وقال غيره : [الطويل]

شربت وعفو الله من كل جانب ... وأحييت أنفاسي بمرتشف الكاس
ولا غرني فيها وأعرف اسمها ... سوى قوله فيها منافع للناس

وقال غيره :

دع المساجد للعُبَّاد تسكنها ... وطف بنا نحو خمار فيسقينا
ما قال ربك ويل للألى سكروا ... بل قال ربك ويل للمصلينا

---

(١) البيتان لأبي القاسم الوزير المغربي . انظر : ديوانه ٢٠٦.

(٢) ينسب البيتان لابن الرومي في زهر الأكم ص١٥٦، الإيضاح في علوم البلاغة ص٣٨٣، وينسبان لإسماعيل القراطيسي في عيون الأخبار ص٣٢٨، ربيع الأبرار ص٢٤٦، التذكرة الحمدونية ٢/ ٤٩٨.

وقال آخر: [مجزوء الكامل]

واحسرتي وا شقوتي ... من يوم نشر كتابيه
واطول حزني إن أكن ... أوتيته بشماليه
وإذا سئلت عن الخطا ... ماذا يكون جوابيه
واحر قلبي أن يكو ... ن مع القلوب القاسيه
كلا ولا قدمت لي ... عملا ليوم حسابيه
بل إنني لشقاوتي ... وقساوتي وعذابيه
بادرت بالزلات في ... أيام دهر خاليه
من ليس يخفى عنه من ... قبح المعاصي خافيه
أستغفر الله العظيـ ... ـم وتبت من أفعاليه
فعسى الإله يجود لي ... بالعفو ثم العافيه

وقال آخر من بحر الموالياً[1]:

إن كنت عاقل وربك بالتقى برك ... ادفع أذاك وهات خيرك ودع شرك
وإن تعدى حسودك والحسد ضرك ... ناديه يا أيها الإنسان ما غرك

وقال آخر من بحره: [الموالياً]

إن ردت تسلم بطول الدهر ما تبرح ... لا تيأس ولا تقنط ولا تمرح
واستعمل الصبر لا تحزن ولا تفرح ... وإن ضاق صدرك ففكر في ألم نشرح

وقال الآخر: [الكامل]

نالوا بذلك فرحة وسرورا ... وسعوا فأصبح سعيهم مشكورا
قوم أقاموا للإله نفوسهم ... فكسا وجوههم الوسيمة نورا
تركوا النعيم وطلقوا لذاتهم ... زهدا فعوضهم بذاك سرورا

(١) المستطرف ١/١١٧.

قاموا يناجون المجيب بأدمع تجري فتحكي لؤلؤا منثورا
ستروا وجههمو بأستار الدجى ليلا فأضحت في النهار بدورا
عملوا بما علموا وجادوا بالذي وجدوا فأصبح حظهم موفورا
وإذا بدا ليل سمعت أنينهم وشهدت وجدا منهمو وزفيرا
تعبوا قليلا في رضا محبوبهم فأراحهم يوم المعاد كثيرا
صبروا على بلواهمو فجزاهمو يوم القيامة جنة وحريرا

وهذا باب يقال: إنه بحر لا ساحل له؛ حيث إنه شحنت به كثير من الدفاتر، وفنيت منه وفيات المحابر، ولو أردنا الزيادة لخرجنا عن حد العادة، ولكن روم الاختصار دعا إلى الاقتصار، فما ذكر كاف في المراد، والله ولي التوفيق والسداد، ومن ركن إلى غيره سبحانه جزما يكاد، إذ هو وحده الذي عليه الاعتماد، وإليه جل وعلا مسير العباد.

* * *

obeikandl.com

الباب التاسع عشر
في ذكر حكايات الملافيق وما فيها من المباسطة على سبيل النزاهة والخلاعة والتجمل بالمغالطة

قال ابن عراش : كان لي جار ، وكنت لا أراه إلا نائما ، وكلما لمته في ذلك أعرض عني وقال : رح يا خِلِّي وخَلِّ لا تلم مثلي أبدا ، فخلني أنا لعل ما قد فاتني يرجع إلي .

فقلت له : يا أخي وما الذي فاتك ؟

فقال : يا هذا إلا تحرك ساكنا .

فقلت أنا : ومن شطح ونطح وشاهد زينه النخيل بالبلح ، لا أدعك إلا أن تخبرني بحالك وتكشف القناع عن وجه ذلك .

فتنفس الصعدا وبكى حتى قلت : لا يسكت أبدا .

ثم قال : اعلم أني نمت ليلة ، فرأيت الجوع قد سُلط علي وأنا أستغيث ، فلا أغاث ، فجعلت أطوف الأزقة ألتمس ما آكله ، وإذا برجل ينادي : ألا لا يتخلفن أحد عن الوليمة غريبا كان أو قريبا .

فوجدت الناس يهرعون إليه من كل جانب ومكان ، فمشيت في جملة من مشى وأنا لا أصدق من الفرح الذي قام بي لأجل ذلك لإزالة ما عندي من الجوع الذي برح بي حتى دخلنا إلى دار لا يرى مثلها في اليقظة أبدا ، قد بنيت بالحكمة ، وتلك الدار جامعة لأنواع اللطائف ؛ لبنة من فطور ولبنة من قطايف ، وسقوفها من المشك وشبابيكها من المشبك ، بياضها من لطاخ المنفوش ، طرازها بأنواع العقائد منقوش ، تربتها من العلاليق ، لها من حبال الشوق بالقلوب تعاليق ، فيها شاذروان من السكر قطر النبات عليه يتكسر ، وكلما بكى

بالقطر فواره تضاحكت بالسرور أطياره ، فتفرق الناس في نواحيها يتعجبون من حكمة بانيها ، وأنا من الجوع في شغل شاغل لا يلتفت قلبي إلى غير المآكل ، وإذا بالموائد ارتفعت ، وأنجزت المآكل ووضعت ، ونصب الخوان وجزمت بالشبع عموم الإخوان ، ورأيت من الأطمعة ما تمنيت من بهجته لو أني أكلته بجملته ، فاختطفت دجاجة ، ونزعت فخذها ، وأردت أن أضعها في فمي ، فاستيقظت من منامي ولم أجد شيئا أمامي ، فأنا دائما لا أزال أنام حتى أدرك ما فاتني في هذا المنام ، فقلت : إنك معذور فمن كان هذا منامه فليست عليه في النوم ملامة .

* * *

[حكاية أخرى]

وحكي أنه نقل عن ابن أعشب المنسوني العبربدى، أنه قال: من صلى العشاء الأخيرة في جماعة، ومكث بعدها مائة وعشرين درجة، ثم أكل خمسمائة بيضة بلا ملح، ونصف قنطار من نبيذة الصعيد، وسبعة أقداح من أقماع الجميز مبتلة في طحينة، فإنه لا يرى جوعا بقية ليلته؛ فإن عاش على السحر لم يأمن من الأمراض المختلفة، وكان من حصول العافية في أمان. انتهى.

* * *

obeikandl.com

حكاية أخرى

قال ابن دعوشة الفرزداري : كان رجل في الأمم السالفة قد عمر دهرا طويلا وجمع مالا جزيلا ، فهتف به هاتف وهو يناديه باسمه واسم أمه وقال : يا هذا ، إن الأجل قد صار قريبا ، فاجعل للفقراء من مالك نصيبا .

عند ذلك دهش عقله مما سمع وكاد فؤاده أن ينخلع ، ثم سقط مغشيا عليه ، فلما أفاق أمر بإحضار أمواله ، فأتوه بصندوق وأفرغوه بين يديه فيه مائة وعشرون جرابا في كل جراب ألف مثقال من الذهب ، ثم أمر بجمع الحلوانية ، فاجتمع عنده ما يزيد عن ألف صانع ، فسلم المال إلى كبيرهم وأمره أن يصنع به قطايف محشوة ، فاشترى ما يحتاج إليه من أحسن السكر وأحسن الفستق الأخضر ، ومن المسك وأنواع البخور ، ثم رتب الصناع في العمل ، فلما تكامل ذلك أمرهم بحمله إلى الجنينة ، فحمل بين يديه وصارت الحرافيش المسماة بالحشاشة تساق إليه ، وصار يفرق ذلك عليهم بالأراطيل ، ويناول كلا من السادة المصاطيل ، ويخص بالزيادة من قل لسانه واشتبهت عليه إخوانه وعجز عن الكلام وصارت اليقظة في حقه كالمنام .

ثم رجع إلى منزله بعد العشاء ونام ، فلما استيقظ قال : بينما أنا نائم هذه الليلة رأيت كأني في قصر من العقيد شبابيكه من البانيد ، تحتي سرير من السكر ، وقوامه من القصب المبخر ، وبين يدي نهر من العسل وأشجار الموز في جنباته ، فإذا هبت الريح يتساقط عن يميني وعن شمالي ، وسمعت قائلا يقول : يا صاحب القطايف المحشوة ، هذا جزاء ما أطعمت إخوانك الحشاشية ، ثم أنشد يقول :

أيا من بجمع المال شتت عمره أتفعل ذا والموت ما زال طائفا
فأطعم به أهل الحشيش قطائفا ونم تر مثلي في المنام لطائفا

ثم صار كلما جمع من المال شيئا فعل به كذلك ، وأنشد هذين البيتين إلى أن مات ؛ انظر يا أخي هذا التغفيل ، فإنه والله أمر وبيل .

حكاية أخرى

قال شحمية الجرمي العجرجري[١] : مررت في بعض الأسفار بالجزيرة الوسطى ، وإذا برجل قد توحل في ربوة ، كلما أراد أن يخلص منها لا يزداد إلا توحلا ، وكان يوما شاتيا ، فنزلتُ إليه لمعاونته حتى خلص ، ثم نزعت ما كان عليه وألبسته شيئا من ثيابي وأطعمته من طعامي ما كفاه ، ثم قلت : يا هذا ، ما الذي دهاك ، ومن في هذه الربوة قد رماك ؟

فقال : لم يكن أحد رماني ، ولكني أعلمك بخبري ؛ إنني رجل كثير السياحة أجوب البلدان ألتمس دعاء الصالحين من الإخوان ، وكنت الليلة نائما بالجامع الأزهر والمحل الفخيم الأنور ، وكان إلى جانبي رجل يصلي طول ليلته ، فلما قرب الفجر ترك سجادته وذهب ليجدد له وضوءا ، فقلت في بالي : لا شك أن هذا الرجل من الأولياء ، والرأي عندي أن أسرق سجادته وأبيعها وآكل بثمنها التماسا لبركته ، وخبأتها فرجع الرجل لم يجدها ، فسألني عنها ، فحلفت له سبعا وثلاثين يمينا أنني ما أخذتها ولا عرفت من أخذها ، فصلى ركعتين ، ثم رفع يديه وجعل يدعو وأنا أقول : آمين . حتى أقيمت الصلاة فصلينا مع الجماعة ، ثم أخذتها وخرجت من الجامع حتى انتهيت إلى السوق وقد بعتها بخمسة دراهم ، ثم مضيت حتى انتهيت إلى الموضع المعروف بالجنينة ، وإذا برجل قد ازدحم الناس عليه حتى صار يركب بعضهم بعضا ، فقلت : لم أر مثل هذا الجمع لا يكون سدى ، وقد اشتهر في المثل القديم من الكلام أن : المنهل العذب كثير الزحام . فسألت بعض الناس عنه فقال : هذا رجل يبيع البهار[٢] .

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) البهار : جنس زهر من المركبات الأنبوبية الزهر ، طيب الريح ، ينبت أيام الربيع ويقال له : العرار . الوسيط (ب هـ ر) .

قلت : وأي شيء يكون البهار ؟

قال : هو شيء يزيد الأفراح ، ويزيل الأتراح ، من أكل ما يكفيه منه وجلس ساعة سارت به الأفكار في أودية الأسرار حتى يرى وهو في مكانه سائر الأقطار .

فقلت : لعمري إن صح هذا الخبر فقد استرحت من السياحة بالسفر . ثم تقدمت إليه ودفعت له الخمسة دراهم ثمن السجادة .

فقال : وما تصنع بهذه الخمسة دراهم ؟

فظننت أنه استقلها ، فقلت : إني لا أملك غيرها فأعطني بها ما تيسر .

فقال : إن الرجل يكفيه بدرهم في خمسة أيام .

قلت : أنا لا يكفيني في يوم إلا بخمسة دراهم .

فقهقه ملء فيه ، وقال : صاحب البيت أدرى بما فيه ، ثم دفع إلي ما يساوي الخمسة دراهم ، فأكلته وأتيت إلى هذا الموضع ، وكان ذلك إما قبل العشاء أو بعدها ، ثم جلست ساعة أنظر الماء ، فرأيت شكل السماء يلوح في صفحاته ، ورأيت خيالات الأشجار منكوسة في ساحاته ، فحصل عندي من ذلك رأفة ، فقلت : لعمري إني لم أزل أسمع وأرى أن السماء تعلو على الرءوس ، وأن الشجر لا يستقر منها شيء وهو منكوس ، ولا شك أن القيامة قد قامت ، فقمت من الدهش لأنظر ما الخبر ، وأردت أن أمشي إلى قدام فمشيت إلى ورا ، وسقطت في هذه الربوة كما ترى .

فلما سمعت ذلك قمت إليه مغضبا ، فنزعت ما ألبسته من الثياب ، ونشرت عليه الضرب ، وطويت عنه النقاب ، وتأسفت على ما أكله من الزوادة ، وعلمت أن ما أصابه بدعاء صاحب السجادة ، ثم سرت مترجلا قائلا : لا حول ولا قوة إلا بالله .

حكاية أخرى

قال ابن دهشمة المشرقي العباكلي[1]: إنه كان ببلادنا ملك قبل الطوفان قد عمر خمسمائة وعشرين سنة، وكان من أعلم أهل زمانه بالحكمة، فلما مات تولى بعده ولده، فأمر بعرض الخزائن عليه، فرأى فيها صندوقا من الزجاج الأحمر فيه كيس من الحرير الأخضر، وفي الكيس لوح من الياقوت مكتوب فيه بالذهب: اعلم أيها الإنسان المخصوص بالعقل والبيان أن من الحكمة التي شهد بصحتها العقل والنقل:

* أن من كان جائعا وأكل ما يكفيه شبع.
* وإن أحدث ولم يكن به صمم سمع.
* ومن طرح ثيابه في النار احترقت.
* ومن ألقى الحجارة في الماء غرقت.
* ومن جرحت إبهام رجله اليمنى، فإنه يأكل بأسنانه.
* ومن ستر عينيه فإنه لا يرى بحاجبيه ولو من كان جالسا بجانبه.
* ومن أنكر من ذلك شيئا لم يكن حكيما.

* * *

(١) لم أعثر له على ترجمة، ولعل هذه الأسماء خيالية.

obeikandl.com

حكاية أخرى

قال ابن هاقد العجيلي العكرمبلى : مررت يوما بالبهطلة ، وإذا برجل قد ازدحم الناس عليه وهو يقول : أيها الناس ، رحمكم الله اعلموا أن الماضي هو ما قد فات ، وأن المستقبل ما هو آت ، ذهب ناس وبقي ناس ، وقد صح عند العقلاء ممن بقي وذهب أن الفضة لا تشابه الذهب ، وأن الحوت من السمك ولو مسك بالشبك ، ومن عرف العلم بتحقيقه وانعجنت فكرته بدقيقه ، علم أن خيوط الكنافة لا تفتل ، وأن الزلابية من القطايف أطول ، ألا وإنكم الساعة هذه في البهطلة ، وبين أياديكم روضة عن الأشغال معطلة ، أغصانها بالغة مورقة ، أهداب النخيل بأطرافها مورقة ، قد حال بينكم وبينها هذا النيل الذي لا ينقص بشرب من شرب منه ولو كان الفيل ، فمن أراد الوصول إليها وهو لا يحسن السباحة فليركب في سفينة ذات ألواح ودسر تحمله في ذهابه وإيابه ، وتدفع البلل عنه وعن ثيابه ، ومن خالف ومشى على الماء واحترق وابتل وأدركه الغرق ، فلا يلومن على ذلك أحدا .

قال أبو دخلة : ذكر عندبة بن أبي الحكم في كتابه المسمى يزيد الحكم أن رئيس أقرانه ، وحكيم أوانه دمسرة بن الدمشن الأكبر حكيم بلاد شربشت قد أوصى ولده عنده موته فقال : يا بني ، خذ مني واحفظ عني وكن لما أقول واعيا ، إذا رأيت شخصا تحمله رجلاه ورأسه من أعلاه وهو يبصر بعيونه ويأكل إذا لم يكن مستعجلا بيمينه ، فاعلم أنه من بني آدم ولو لم يخبرك أحد بذلك . انتهى .

* * *

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

حكي أن قوما قدموا غريمهم إلى الوالي وادعوا عليه بألف درهم، فقال الوالي للغريم: ما تقول؟

فقال: صدقوا فيما يقولون، ولكني أسألهم أن يمهلوني لأبيع عقاري وإبلي وغنمي، ثم أوفيهم.

فقالوا: أيها الوالي، قد كذب والله ما له شيء من المال لا قليل ولا كثير.

فقال: قد سمعت شهادتهم بإفلاسي، فكيف يطالبوني.

فأمر الوالي بإطلاقه.

وحكي أن رجلا ضرب أعور بحجر، فأصاب العين الصحيحة، فوضع الأعور يده على عينيه، وقال أمسينا الليل والحمد لله.

حكى أبو مسعود قال: قال لي أبو داود المسيحي ما اسمك؟

قلت: سعد.

فقال ابن من؟

قلت: ابن مسعدة.

قال: أبو من؟

قلت: أبو مسعود.

فقال: مثلك مثل أعرابي سأل آخر فقال: ما اسمك؟ فقال: فياض. فقال: ابن من؟ قال: ابن الفرات. فقال: أبو من؟ قال: أبو بحر. فقال: ليس ينبغي لنا أن نلقاك إلا في سفينة أو زورق وإلا نغرق.

ومن الغرائب ما حكاه القاضي شمس الدين بن خلكان[١] عن أبي معشر الفلكي[٢] أن بعض الملوك طلب رجلا من أتباعه ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه استحق العقاب بسببها، فلما علم الرجل ذلك استخفى، وعلم أن أبا معشر يدل عليه بالطريق التي يستخرج بها الخفايا، فأراد أن يعمل شيئا لا يهتدي إليه، فأخذ طشتا من النحاس، وجعل فيه دما وجعل في الدم هاونا من الذهب، وجلس على الهاون أياما، فطلبه الملك وبالغ في طلبه، فلما عجز عنه قال لأبي مشعر: عرفني موضعه بما جرت به عادتك.

فعمل المسألة التي يستخرج بها ذلك، ثم سكت ساعة حائرا، فقال له الملك: ما سبب سكوتك؟

فقال: أرى شيئا عجيبا.

---

(١) ابن خَلِّكان (٦٠٨ - ٦٨١هـ/١٢١١ - ١٢٨٢م). أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان. اشتهر بكتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ويعد من أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطًا. ولد في أربيل بالقرب من الموصل على شاطئ دجلة الشرقي وانتقل إلى مصر، فأقام بها مدة، وتولى نيابة قضائها. سافر إلى دمشق، فولاه الملك الظاهر بيبرس قضاء الشام. وعُزل بعد عشر سنين، فعاد إلى مصر. فأقام سبع سنين، ورُدَّ إلى قضاء الشام، ثم عزل عنه بعد مدة. وولي التدريس في كثير من مدارس دمشق. وتوفي فيها فدفن في سفح جبل قاسيون. يتصل نسبه بالبرامكة.
ترجمته في الأعلام ١/ ٢٢٠.

(٢) جعفر بن محمد بن عمر البلخي، أبو معشر: عالم فلكي مشهور، كان أولا من أصحاب الحديث، وتعلم النجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره، وضربه المستعين العباسي أسواطا لأنه أخبر بشيء قبل حدوثه فحدث، فكان يقول: أصبت فعوقبت! قال القفطي في وصفه: عالم أهل الاسلام بأحكام النجوم. وكان أعلم الناس بتاريخ الفرس وأخبار سائر الأمم، وعمر طويلا، جاوز المائة، أصله من بلخ في خراسان، أقام زمنا في بغداد ومات بواسط سنة ٢٧٢ هـ. من كتبه: هيئة الفلك، وطبائع البلدان، والزيج الكبير، والزيج الصغير. انظر: الأعلام ٢/ ١٢٧، الفهرست لابن النديم ١: ٢٧٧ والقفطي ١٠٦ وابن خلكان ١: ١١٢.

فقال ما هو؟

قال أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب، والجبل في بحر من دم محيط به سور من نحاس، ولا أعلم في العالم موضعا على هذه الصفة.

فقال له: أعد النظر

ففعل، ثم قال: لا أرى إلا كما ذكرت، وهذا شيء ما وقع لي مثله.

فلما أيس الملك من القدرة عليه بهذا الطريق نادى في البلد بالأمان للرجل، فلما حضر بين يديه سأله عن الموضع الذي كان فيه، فأخبره بما اعتمد عليه، فأعجبه حسن احتياله في إخفاء نفسه، ولطافة أبي معشر في استخراجه لذلك وهذا من العجائب[1].

* * *

(١) وفيات الأعيان ١/ ٣٥٩.

لطيفة

قدم رجل من سجلماسة[١] يريد الحج، فأودع عند رجل من أهل السوق ـ أحسن به الظن ـ ألف دينار، فلما عاد من الحج طلب ماله منه فأنكره وجحده، فشكا أمره إلى الحاكم بأمر الله[٢] سرا، فقال له: اقعد في السوق تجاه الرجل، فإذا مررت عليك، فأظهر أني أعرفك؛ فإني سأقف معك وأطيل السؤال عنك وعن حالك.

فلما فعل ذلك وانصرف الحاكم جاء الرجل الذي عنده الوديعة إليه، وأكب على يديه فقبلهما وسأله الصفح عنه، وأحضر له الذهب، فمضى إلى الحاكم وعرفه القصة فأصبح الرجل مقتولا معلقا على دكانه برجليه.

* * *

(١) سِجِلْمَاسَةُ: بكسر أوله وسكون اللام وبعد الألف سين مهملة، مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان. كانت غربي الصحراء الكبرى ضمن حدود المغرب اليوم يمر بها وادي (إيسلي) يسمح ببعض الزراعات والنخيل وكانت من أهم المدن التجارية في العصور الإسلامية. لمرور القوافل عبرها إلى أفريقية الغربية. كانت عاصمة الخوارج المدراريين فترة من الزمن ومكانها اليوم مدينة (الريساني) في مقاطعة (تافيلالت). معجم البلدان ٢/ ٤٣٣، تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير٢/ ٥١.

(٢) الحاكم العباسي (٦٢٥ ـ ٧٠١هـ/١٢٢٨ ـ ١٣٠٢م) هو: أحمد (الحاكم بأمر الله، أبو العباس) ابن الأمير الحسن بن أبي بكر ابن علي القبي (بضم القاف وتشديد الباء) العباسي: أمير المؤمنين، من ذرية المستظهر ابن المقتدي. اختفى في واقعة بغداد وجمع عساكر من العربان افتتح بهم عانة والأنبار، وكر عليه التتار، ونجا هو فسار إلى القاهرة، وبويع فيها بالخلافة (٦٦١) وعقد السلطنة للظاهر بيبرس، وضربت السكة باسمهما مدة ثم اقتصر على اسم السلطان. وكان يخطب بنفسه وله شجاعة، استمر ٤٠ سنة و ٤ أشهر و ١٠ أيام وتوفي بالقاهرة وهو في عشر الثمانين.
ترجمته في: الأعلام ١/ ١١١.

حكى القاضي شمس الدين بن خلكان في **تاريخه** أن شهاب الدين السهروردي[1] المقتول بحلب كان بارعا في أصول الفقه، أوحد أهل زمانه في العلوم الفلسفية، وكان يعرف علم السيما، قال: وحكى عنه بعض فقهاء العجم أنه كان في صحبته وقد خرجوا من دمشق المحروسة، قال: فلما وصلنا إلى القابون لقينا قطيع غنم مع رجل تركماني، فقلت للشيخ: يا مولانا، نريد من هذه الغنم رأسا نأكله.

فقال: معي عشرة دراهم خذوها واشتروا بها رأس غنم.

وكان هناك تركماني فاشترينا من التركماني الرأس بالدراهم، ومشينا فلحقَنا رقيق له وقال: ردوا الرأس وخذوا أصغر منه؛ فإن هذا ما عرف أن يبيعكم.

فتقاولنا نحن وإياه. فلما عرف الشيخ القصة قال: لتأخذوا أنتم الرأس، وامشوا وأنا أقف معه وأرضيه.

فتقدمنا نحن وبقي الشيخ يتحدث معه ويطيب قلبه، فلما بعدنا قليلا تركه الشيخ وتبعنا، وبقي التركماني يمشي خلفه ويصيح وهو لا يلتفت إليه، فلما رأى أنه لا يكلمه لحقه وقبض على يده اليسرى وقال: كيف تروح وتخليني وما تعطيني حقي؟

---

(١) يحيى بن حبش بن أميرك، أبو الفتوح، شهاب الدين، السهروردي (٥٤٩ - ٥٨٧هـ): فيلسوف، اختلف المؤرخون في اسمه، ولد في سهرورد (من قرى زنجان في العراق العجمي) ونشأ ببراغة، وسافر إلى حلب، فنسب إلى انحلال العقيدة، وكان علمه أكثر من عقله (كما يقول ابن خلكان) فأفتى العلماء بإباحة دمه، فسجنه الملك الظاهر غازي، وخنقه في سجنه بقلعة حلب، من كتبه: التلويحات، وهياكل النور، والمشارع والمطارحات، والأسماء الإدريسية. انظر: الأعلام ٨/ ١٤٠، وفيات الأعيان ٢: ٢٦١، والنجوم الزاهرة ٦: ١١٤، وابن الوردي ٢: ١٠٤ وأعلام النبلاء ٤: ٢٩٢ ومرآة الجنان ٣: ٤٣٤ ونسان الميزان ٣: ١٥٦.

وإذا بيد الشيخ قد انخلعت معه من عند كتفيه وبقيت في يد التركماني، فلما عاين التركماني ذلك تحير في أمره ورمى اليد وخاف وهرب، فرجع الشيخ وأخذ اليد بيده اليمني ولحقنا، وبقي التركماني راجعا هاربا، وهو يلتفت إليه حتى غاب عنه، فلما وصل إلينا الشيخ رأينا في يده منديلا لا غير فعجبنا جميعا من ذلك.

انتهت حكايات الملافيق والله ولي التوفيق.

* * *

obeikandl.com

الباب المتمم عشرين
في ذكر من اخترع النرد بثاقب فكره
فكان ذلك سببا لعلو قدره واستبقاء ذكره

اعلم ـ وفقك الله تعالى ـ أن أول من اخترع النرد وهو المسمى عند العوام بالطولة أردشير بن بابك[١] وهو أول ملوك الفرس الأخيرة، وكان اختراعه لها في صدر الإسلام[٢]، وهو أول من وضع النرد وضربها مثلا للقضاء والقدر، وأن الإنسان ليس له تصرف في نفسه لا يملك لها نفعا ولا ضررا؛ أي لا يملك جلب النفع لنفسه ولا يقدر أن يدفع الضرر عنها، ولا يقدر أن يجلب لها موتا ولا حياة ولا سعدا ولا شقاء، بل هو مصرف على حكم القضاء والقدر معرض طورا للنفع وطورا للضرر، وجعلها أيضا تمثيلا للحظ والنصيب الذي يناله العاجز بما يجري لديه من الملك والحرمان الذي يبتلى به الحازم بما دار به عليه الفلك، وقد وضعها على مثال الدنيا وأهلها، فرتب الرقعة اثني عشر بيتا ـ أي: خانة ـ بعدد شهور السنة والبروج الاثني عشر، وجعل القطع ثلاثين قطعة بعدد أيام كل شهر، والدرج التي هي لكل برج ثلاثين درجة، ومعنى ذلك أن كل ثلاثين درجة على سبعة أيام، والمراد من ذلك الكواكب السيارة السبعة، ثم جعل لها تشبيها فوضع، وشبهها بالنيران، وصور فيها أربعة وعشرين بيتا بعدد ساعات الليل والنهار في كل ناحية منها اثنا عشر بيتا، وصير لها ثلاثين كلبا تشبيها بأيام الشهر، ودرج الفلك، ثم عمل فصين شبههما بالليل والنهار،

---

(١) أردشير بن بابك بن ساسان: جد ملوك الفرس الذين آخرهم يزدجرد.
ترجمته في: الاخبار الطوال، ص ٤٥ ٤٢، و تاريخ الطبري ٢/٤٣ ٣٧، و مروج الذهب ١/ ٢٤٥ وما بعدها.

(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٣٥٧.

وتوصل إلى إرسال ذلك للعقول بأن جعل اللعب بالفصين اللذين أنزلهما منزلة الليل والنهار، فجعل لكل فص ستة أوجه كجهات الإنسان، وهو فوق وأسفل ووراء وأمام ويمين وشمال؛ لأنه عدد له نصف وثلث وسدس، وجعل في كل جهة من الفصين سبع نقط؛ تحت الستة واحدة، وتحت الخمسة اثنتين، وتحت الأربعة ثلاثة تشبيها بعدد الأيام وعدة الكواكب السيارة، وأنزلهما منزلة القضاء والقدر، ثم جعلها محنة بين رجلين يلعبان بها، وأنزلهما منزلة الليل والنهار يشير بذلك إلى أن الإنسان لا يعلم من أين يأتيه الخير والشر، فكما أن الإنسان لا يعلم ما يرد عليه من خير أو شر أو نفع أو ضر، فكذا لا يعلم ما يعطيانه ـ أي الفصان ـ أو يسلبانه، وهل يكون غالبا أو مغلوبا إذ ليس له من الأمر شيء، وأشار فيها أيضا إلى تقلب القدر بالإنسان فتارة يكون شريفا، ثم يكون مشروفا وبالعكس إلى ما لا نهاية له من تقلب الأطوار في تغاير الأوطار[1].

ولقد أحسن السري الرفاء[2] في وصفها من أبيات[3]: [الكامل]

---

(١) غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة ١/ ٤٢٢.

(٢) السري بن أحمد بن السري الكندي، أبو الحسن (ت ٣٦٦): شاعر، أديب من أهل الموصل، كان في صباه يرفو ويطرز في دكان بها، فعرف بالرفاء، ولما جاد شعره ومهر في الأدب قصد سيف الدولة بحلب، فمدحه وأقام عنده مدة، ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد، ومدح جماعة من الوزراء والأعيان، ونفق شعره إلى أن تصدى له الخالديان (محمد وسعيد ابنا هاشم) وكانت بينه وبينهما مهاجاة فآذياه وأبعداه عن مجالس الكبراء، فضاقت دنياه واضطر للعمل في الوراقة (النسخ والتجليد) فجلس يورق شعره ويبيعه، ثم نسخ لغيره بالأجرة، وركبه الدين، ومات ببغداد على تلك الحال، وكان عذب الألفاظ، مفتنا في التشبيهات والأوصاف، ولم يكن له رواء ولا منظر، من كتبه: ديوان شعره، والمحب والمحبوب والمشموم والمشروب. انظر: الأعلام ٣/ ٨١، وفيات الأعيان ١: ٢٠١ ويتيمة الدهر ١: ٤٥٠ ـ ٥٣٠ ومعاهد التنصيص ٣: ٢٨٠ وتاريخ بغداد ٩: ١٩٤ وكشف الظنون ١٦١١.

(٣) انظر: غرر الخصائص ١/ ٤٢٢، وديوان المعاني ص ٢٥٢.

ومحكمان على النفوس وربما ... لم يحكما فيهن حكما عادلا
أخوان قد وسما على متنيهما ... سمة تحث على البليد غوائلا
يلقاهما المرزوق سعدا طالعا ... ويراهم المحروم سعدا آفلا
فإذا هما اصطحبا على كف الفتى ... ضراه أو نفعاه نفعا عاجلا

* * *

obeikandl.com

خاتمة الباب
وتحفة لذوي الآداب

أقول[١] : **وأما الشطرنج**، فإن الفرس لما افتخرت بوضع النرد وأحسنت وضعه وصناعته، وكان ملك الروم يومئذ بلهيث، فوضع له رجل من الحكماء صفة الشطرنج وما وضعه إلا لنهض القوة للحرب، وكان قد اخترعه وضربه مثلا على أن الإنسان قادر بسعيه واجتهاده أن يبلغ المراتب العلية والخطط السنية، وإن هو قد أهملها صارت به من الخمول إلى الحضيض، وأخرجته من روض العيش الأريض، ومما جعله دليلا على ذلك أن البيدق[٢] ينال بحركته وسعيه منزلة الفرزان في الرياسة، وجعلها مصورة تماثيل على صورة الناطق والصامت، وجعلها درجات ومراتب، وجعل الشاه المدبر الرئيس والفرس والفيل مركوبان له، والفرزان وزيره والبيادق رعاياه، فكما أن الواحد من الرعية إذا أعطى الاجتهاد حقه في تهذيب نفسه وتأديبها كان ذلك عونا على أن ينال رتبة الفرزان، فكذلك الفرزان إذا علت همته وتمكنت قدرته طمحت نفسه إلى نيل رتبة الشاه وقتاله، وكذلك ما يليها من القطع.

ويقال[٣] : إن سبب وضعها أن بعض الملوك من الهند كان له ولد يسمى شاه، وقد أخرجه إلى بعض الحروب فقتل فيها فهاب الناس الملك أن يعلموه بموت ولده، فوضع لهم بعض حكمائهم الشطرنج، وبين لهم فيها ما خفي عنهم من مكايد الحروب، وكيفية التدبير والحزم والاحتياط والمكيدة والقوة

---

(١) غرر الخصائص ١/ ٤٢٣.

(٢) البيدق : الجندي الراجل، الجمع : بيادق و بيادقة منه بيدق الشطرنج. الوسيط (بيدق).

(٣) غرر الخصائص ١/ ٤٢٣.

والجد والشجاعة والبأس، فمن عدم شيئا من ذلك علم موضع تقصيره، ومن أين أتى بسوء تدبيره؛ لأن خطأها لا يستقال، والعجز فيها متلف المهج والأموال.

واعلم أيضا أن في ترك الحزم ذهاب الملك وضعف الرأي جالب للعطف والهلك، وأن التقصير سبب للهزيمة والإتلاف، وعدم المعرفة بالتعبير داع إلى الانكشاف، وأمرهم أن يلعبوا بها بين يدي الملك، فلما لعبوا بها قال الغالب للمغلوب: شاه مات.

ففطن الملك المراد وأمر أن يعزى بولده ثمرة الفؤاد.

ويقال: إن صصة لما وضع الشطرنج وعرضها على الملك وأظهر له مكنون سرها قال له: اقترح ما تشتهي.

قال: أن تضع حبة بر في البيت الأول، ولا تزال تضعفها حتى تنتهي إلى آخر البيوت، فما بلغ تعطيني إياه، فاستخف الملك عقله واحتقر ما طلبه وقال: كنت أظن أن عقلك راجح وكنت أظن لتوقد فكرك أن تطلب شيئا نفيسا.

فقال: أيها الملك إنك لما صرفتني إلى التمني لم يخطر ببالي غير ذلك، ولا سبيل إلى الرجوع عنه.

فأنعم الملك عليه بما سأل ف، أمر بإحضار الحساب، وأمرهم أن يحسبوا له ذلك، فأعملوا في بلوغ قصده مطايا الأفكار حتى لاح لهم نجم صدقه، فعرفوه بعد الإنكار، فلم يجدوا في بلاد الدنيا من البر ما يفي للحكيم بمراده، ولو كانت الرمال من أمداده، وذلك أنهم وضعوا حبة في البيت الأول، وفي الثاني حبتين، وفي الثالث أربعة، وفي الرابع ثمانية، وفي الخامس ستة عشر، وهكذا ولولا مخافة الإطالة، وأنها تؤدي إلى الملالة لذكرنا تضعيف عدده ونهاية ما يكون من مدده، ولم أهمل ذلك فقد وجدت بعض الحذاق قد حصرها

بالأعداد الهندية ونظمها في بيت من الشعر فناسب أن أذكره استحسانا لوجازته وقربه وهذا هو البيت المذكور :

هاو اههط وصر بعد زجر وثن صفرا وقل ددز وددحا

٦١٥ ٠٩٥٥١ ٠٠٧٣٧ ٧٤٤ ١٨٤٤٦

وحاصل العدد ١٨٤٤٦٧٤٤٠٠٧٣٧٠٩٥٥١٦١٥

وقالوا : إن شطرنج أصله شش رنك ومعناه ستة ألوان ؛ لأن شش عندهم ستة ، ورنك لون ، فكأنهم قالوا : ستة ألوان فالشاه لون ، والفرزان لون ، والفيل لون ، والرخ لون ، والفرس لون ، والبيدق لون ، وهلم جرا .

* * *

obeikandl.com

(تنبيه)

اعلم ـ أيدك الله بنصره ـ أن النرد المتقدم ذكره اللعب به حرام بالإجماع، وأما الشطرنج فمختلف فيه والأظهر عند الإمام الشافعي[1] ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه مباح إذ لم يثبت فيه نص بحرمة ولا غيرها، فبقي على الحل.

ونقل أن الصحابة كانت تلعب به كعبد الله بن جعفر[2]، وغيره.

---

(١) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ): أحد الائمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية كافة، ولد في غزة (بفلسطين) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين، وقصد مصر سنة ١٩٩ فتوفي بها، وقبره معروف في القاهرة، قال المبرد: كان الشافعي أشعر الناس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات. وقال الإمام ابن حنبل: ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته منة. وكان من أحذق قريش بالرمي، يصيب من العشرة عشرة، برع في ذلك أولا كما برع في الشعر واللغة وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث، وأفتى وهو ابن عشرين سنة، وكان ذكيا مفرطا، له تصانيف كثيرة، أشهرها: كتاب الأم، والمسند، والرسالة. انظر: الأعلام ٦/ ٢٦، تذكرة الحفاظ ١: ٣٢٩ وتهذيب التهذيب ٩: ٢٥ والوفيات ١: ٤٤٧.

(٢) عبد الله بن جعفر (١ ـ ٨٠هـ/٦٢٢ ـ ٧٠٠م) هو: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي: صحابي. ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها. وهو أول من ولد بهامن المسلمين. وأتى البصرة والكوفة والشام. وكان كريما يسمى بحر الجود. وللشعراء فيه مدائح. وكان أحد الأمراء في جيش علي يوم "صفين" ومات بالمدينة.

ترجمته في: نسب قريش: ٨١، ٨٢، طبقات خليفة: ت ٨٢٣، ١٤٨٤، المحبر: ٥٥، ١٤٨، ١٤٩، ٢٩٣، التاريخ الكبير ٥/ ٧، التاريخ الصغير ١/ ١٩٧، المعرفة والتاريخ ١/ ٢٤٢، الكنى ١/ ٦٦، الجرح والتعديل ٥/ ٢١، جمهرة أنساب العرب: ٦٨، الاستيعاب: ٨٨٠، أسد الغابة ٣/ ١٩٨، تهذيب الأسماء واللغات ١/١/ ٢٦٣، تهذيب الكمال: ٦٧٠، تاريخ الاسلام ٣/ ١٦٣، العبر ١/ ٩١، البداية والنهاية ٩/ ٣٣، العقد الثمين ٥/ ١٢٠، الإصابة ٢/ ٢٨٩، تهذيب التهذيب ٥/ ١٧٠، شذرات الذهب ١/ ٨٧.

والذي ينبغي لمن يلعب بالشطرنج :

* أنه لا يحلف عليها بصدق ولا كذب .

* وأن يترك المراء .

* ويتجنب المكابرة ، فإنه لعب .

* ولا ينبغي أن يتوصل به إلى الحسد والغضب .

* ولا يراهن عليه ؛ لأنه حرام ، وفيه مادة الحقد ، فإن كان لا بد من ذلك فيتوصل إليه بطريق الهبة والنذر ، وليكن على المأكول والأشياء اليسيرة دون الأموال ، فإنه قمار وهو حرام جزما بلا خلاف ، وردئ قولا واحدا ، غير محمود لا شرعا ولا عقلا .

* ومن لعبه مع الملك أو مع أحد من العظماء فليصبر حتى يبتدئ باللعب ويحترز أن يمثل عليها بالأمثال القبيحة والأشعار السخيفة ، فكثيرا ما يجري مثل ذلك من اللعاب .

* ولا يقال للملك : قهرت . ولا : غلبت . ولا : شاه مات . وإنما يقال شاه : بلا بيت . أو : شاه ويسكت .

* وإذا فرغ من اللعب فلا يطرح الشطرنج في وسط الرقعة ، بل يبقى مكانه حتى يشرع في [صفه][1] ، وإذا حضرت بحضرة من يلعب فلا تدبدب لأحدهما على الآخر ، ولا تشر إليه فيشغل صاحبه ويشنؤك الخصم .

ومن هنا حكي أن أميرين جلسا بحضرة عضد الدولة[2] يلعبان بالشطرنج ،

---

(١) في الأصل : « صفته » ، ولعل المثبت هو الصواب .

(٢) عضد الدولة البويهي (٣٢٤ ـ ٣٧٢هـ/٩٣٦ ـ ٩٨٣م) هو : فناخسرو ، الملقب عضد الدولة ، ابن الحسن الملقب ركن الدولة ابن بويه الديلمي ، أبو شجاع : أحد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية بالعراق . تولى ملك فارس ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة . وهو أول من =

فأشار إلى أحدهما يعلمه على الآخر، وهما متراهنان، فقال الثاني لصاحبه: غلبتني يا فلان.

قال: وكيف ذلك؟

قال: لأن الملك عضد الدولة يدبدب لك علي، ومن كان عليه فإنه مغلوب لا محالة فدعني أزيح التعب.

فأعجب الملك بأدبه وسكت عنه، فاتفق أنه غلب كما قال فوفى عنه عضد الدولة.

ولعلي بن الجهم في وصف الشطرنج شعر نفيس حيث قال[1]: [البسيط]

أرض مربعة حمراء من أدم ... ما بين جيشين[2] مصفوفين بالكرم

تذكرا الحرب فاحتالا لها شبها[3] ... من غير أن يأثما فيه بسفك دم

هذا يكر على هذا وذاك على ... هذا يكر وعين الحرب لم تنم[4]

فانظر إلى فطن جاشت بفكرهما[5] ... بعسكرين بلا طبل ولا علم

= خطب له على المنابر بعد الخليفة، وأول من لقب في الإسلام "شاهنشاه".

ترجمته في: يتيمة الدهر: ٢/٢١٦ - ٢١٨، المنتظم: ٧/١١٣ - ١١٨، الكامل لابن الأثير: ٨/٥٨٤ - ٥٨٧، وفيات الأعيان: ٤/٥٠ - ٥٥، المختصر في أخبار البشر: ٢/١٢٢ - ١٢٣، العبر: ٢/٣٦١ - ٣٦٢، دول الإسلام: ١/٢٢٩ - ٢٣٠، ابن الوردي: ١/ ٣٠٥، مرآة الجنان: ٢/ ٣٩٨، البداية والنهاية: ١١/٢٩٩ - ٣٠١، النجوم الزاهرة: ٤/ ١٤٢، ١٤٣، بغية الوعاة: ٢/٢٤٧ - ٢٤٨، شذرات الذهب: ٣/٧٨ - ٧٩.

(١) ديوانه، ص ١٥٨.

(٢) في الديوان: «إلفين».

(٣) في الديوان: «فطنا».

(٤) رواية هذا الشطر في الديوان: «هذا وَعَينُ حَليفِ الحَزمِ لَم تَنَمِ».

(٥) رواية هذا الشطر في الديوان: «فَانظُر إلى بُهَمٍ جاشَت بِمَعرَكَةٍ».

وقال ابن بكري[١] في معنى ذلك وأجاد في قوله[٢] : [مجزوء الرمل]

إنما لعبك بالشطـ ـرنج للنفس رياضه
فاهجر الهجر لديها لا ترد يوما حياضه
وتجنب صاحب الجهـ ـل ومن فيه غضاضه
لا تجالس غير ندب زانه العقل وراضه

وقد قال الشيخ رشيد الدين الفارقي[٣] ـ رحمه الله تعالى ـ بيتا مفردا في كيفية لعب تلك الرقعة، وقال: إن من حفظه وعمل به لم يغلب، بل يكون غالبا دائما، وهو هذا: [الكامل]

حقق مقاصد كل نقل وانتهي عنه ولاحظ ما على الشاهين

وفي هذا القدر كفاية لذوي الألباب ممن يروم الألعاب

* * *

(١) ابن بكري الكاتب من الحريم. والده مستعمل الثقلاطون لدار الخلافة. وكان هو كاتباً في ديوان المجلس سنين، ثم صرفه الوزير. فيه فضل وأدب. وهو من طبقات الشَّطْرَنْجيين ببغداد. ترجمته في: خريدة القصر ١/ ١٥٠.

(٢) خريدة القصر ١/ ١٥٤.

(٣) عمر بن إسماعيل بن مسعود، أبو حفص، رشيد الدين، الربعي الفارقي (٥٩٨ ـ ٦٨٧هـ): أديب عصره، كتب في ديوان الإنشاء، وخنقه لص في بيته بالظاهرية (بمصر) طمعا بماله، كان عارفا بالتفسير والأصول، له: (المقدمة الكبرى)، و(المقدمة الصغرى) في النحو. انظر: الأعلام ٥/ ٤٢، فوات الوفيات ٢: ١٠٣.

الباب الحادي والعشرون
في ذكر الأخلاق الحسنة واللطائف المستحسنة

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1].

فخص الله تعالى نبيه ﷺ بما منَّ به عليه؛ من كرم الطباع، ومحاسن الأخلاق؛ من الحياء، والكرم، والصفح، وحسن العهد مما لم يؤته غيره.

ثم ما أثنى الله تعالى عليه بشيء من فضائله كثنائه عليه بحسن الخلق حيث قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾.

قالت عائشة رضي الله عنها: (كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه)[2]. وقالت عائشة رضي الله عنها: (ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة قط، ولا خادما له، ولا ضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون إثما، أو قطعية رحم فيكون أبعد الناس منه)[3].

وقال إبراهيم بن عباس[4]: لو وزنت كلمة رسول الله ﷺ بمحاسن الناس لرجحت وهي قوله عليه الصلاة والسلام: «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم**»[5]. وفي رواية أخرى: «**فسعوهم ببسط الوجه والخلق**

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) أخرجه ابن عساكر (٣/٣٨٢).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٩/٤٤٢)، وأحمد (٦/ ٢٨١، رقم ٢٦٤٤٨)، وعبد بن حميد (ص ٤٣٠، رقم ١٤٨١)، وابن عساكر (٣/٣٧٢).

(٤) المستطرف ١/ ١٠١.

(٥) أخرجه البيهقي في معجم ابن عساكر ٢/ ١١.

الحسن »[١] . وعنه ﷺ أنه قال : « **حسن الخلق زمام من رحمة الله تعالى في أنف صاحبه ، والزمام بيد الملك ، والملك يجره إلى الخير ، والخير يجره إلى الجنة . وسوء الخلق زمام من عذاب الله تعالى في أنف صاحبه ، والزمام بيد الشيطان ، والشيطان يجره إلى الشر ، والشر يجره إلى النار** »[٢] .

وقال الفضيل بن عياض[٣] : لأن يصحبني فاجر حسن الخلق ، أحب إلي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق ؛ لأن الفاجر إذا حسن خلقه خف على الناس وأحبوه ، والعابد إذا ساء خلقه مقتوه[٤] .

بيت مفرد[٥] : [الوافر]

إذا رام التخلق جاذبته خلائقه إلى الطبع القديم

ومن لطائف الأخلاق أن بعض حاشية جعفر بن سليمان سرق جوهرة نفيسة وباعها بمال جزيل ، فأنفذ إلى الجوهريين بصفتها ، فقالوا : باعها فلان من مدة كذا .

ثم إن ذلك الرجل الذي سرقها قبض عليه وأحضر بين يدي جعفر ، فلما رأى ما ظهر عليه قال له : أراك قد تغير لونك ، ألست يوم كذا طلبت مني هذه

---

(١) السابق : نفس الموضع .

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٤٨.

(٣) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي ، أبو علي (١٠٥ - ١٨٧هـ) : شيخ الحرم المكي ، من أكابر العباد الصلحاء ، كان ثقة في الحديث ، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي ، ولد في سمرقند ، ونشأ بأبيورد ، ودخل الكوفة وهو كبير ، وأصله منها ، ثم سكن مكة وتوفي بها . انظر : الأعلام ٥/ ١٥٣، طبقات الصوفية ٦ - ١٤ وتذكرة الحفاظ ١: ٢٢٥ وتهذيب ٨: ٢٩٤ والجواهر المضية ١: ٤٠٩ وصفة الصفوة ٢: ١٣٤ وحلية ٨: ٨٤ وابن خلكان ١: ٤١٥.

(٤) روضة العقلاء ١١٤.

(٥) البيت للبحتري في ديوانه ١١٩.

الجوهرة ، فوهبتها لك ، وأقسم بالله : لقد أنسيت هذا ثم أمر للجوهري بثمنها ، وقال للرجل : خذها الآن حلالا طيبا ، وبعها بالثمن الذي يطيب خاطرك به لا تبع بيع خائف .

وذكر أن أنوشروان وضع الموائد للناس في يوم نوروز ، وجلس ودخل وجوه أهل مملكته في الإيوان ، فلما فرغوا من الطعام جاءوا بالشراب ، وأحضرت الفواكه والمشموم في آنية الذهب والفضة ، فلما رفعت الآنية من المجلس أخذ بعض من حضر جام ذهب وزنه ألف مثقال وخبأه تحت ثيابه ، وأنوشروان يراه ، فلما فقده الشرابي صاح بصوت عال : لا يخرجن أحد حتى يفتش .

فقال كسرى : ولم ؟

فأخبره بالقضية ، فقال : قد أخذه من لا يرده ، ورآه من لا ينم عليه ، فلا تفتش أحدا . فأخذ الرجل الجام ومضى ، فكسره وصاغ منه منطقة ، وحلية لسيفه ، وجدد له كسوة جميلة ، فلما كان في مثل ذلك اليوم جلس الملك ، ودخل ذلك الرجل بتلك الحلية ، فدعاه كسرى وقال له : هذا من ذاك . فقبل الأرض وقال : نعم أصلحك الله .

وقال عبد الله بن طاهر[1] : كنت عند المأمون يوما ، فنادى بالخادم :

---

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي ، بالولاء ، أبو العباس (١٨٢ - ٢٣٠هـ) : أمير خراسان ، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي ، أصله من باذغيس بخراسان وكان جده الأعلى (زريق) من موالي طلحة بن عبد الله (المعروف بطلحة الطلحات) وولي صاحب الترجمة إمرة الشام مدة ، ونقل إلى مصر سنة ٢١١ هـ ، فأقام سنة ، ونقل إلى الدينور ، ثم ولاه المأمون خراسان ، وظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والري والسواد وما يتصل بتلك الأطراف ، واستمر إلى أن توفي بنيسابور (وقيل : بمرو) وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه ، قال ابن الأثير : كان عبد الله من أكثر الناس بذلا للمال ، مع علم ومعرفة وتجربة ، وللشعراء فيه مراثٍ كثيرة ، وقال ابن خلكان : كان عبد الله سيدا نبيلا عالي الهمة=

يا غلام. فلم يجبه أحد، ثم نادى ثانيا وصاح: يا غلام. فدخل غلام تركي وهو يقول: ما ينبغي للغلام أن يأكل ولا يشرب؟

كلما خرجت من عندك تصيح: يا غلام، يا غلام إلى كم يا غلام؟

فنكس المأمون رأسه طويلا، فما شككت أنه يأمرني بضرب عنقه، ثم نظر إلي فقال: يا عبد الله، إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه، وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه، وإنا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لنحسن أخلاق خدمنا[1].

وكان ابن عمر[2] ﷺ: إذا رأى أحدا من عبيده يحسن صلاته يعتقه، فعرفوا ذلك من خلقه، فكانوا يحسنون الصلاة مراءاة له له، فكان يعتقهم، فقيل له: إنهم يحسنون الصلاة لذلك خداعا. فقال: من خدعنا في الله انخدعنا له[3].

=شهما، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه. وقال الذهبي في دول الإسلام: كان عبد الله من كبار الملوك. وقال الشابشتي: كان المأمون تبناه ورباه. انظر: الأعلام ٤/ ٩٣، ٩٤، وابن الاثير ٧: ٥ والطبري ١١: ١٣ وابن خلكان ١: ٢٦٠ وتاريخ بغداد ٩: ٤٨٣.

(١) المستطرف ١/ ٣٢٠.

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن (١٠ ق هـ - ٧٣هـ): صحابي، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية، كان جريئا جهيرا، نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، ومولده ووفاته فيها، أفتى الناس في الإسلام ستين سنة، ولما قتل عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى، وغزا إفريقية مرتين: الأولى مع ابن أبي سرح، والثانية مع معاوية بن حديج سنة ٣٤ هـ، وكف بصره في آخر حياته، وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة، له في كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثا. انظر: الأعلام ٤/ ١٠٨، وحلية ١: ٢٩٢ وصفة الصفوة ١: ٢٢٨.

(٣) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٨٢٩).

ومن محاسن الأخلاق ما حكي عن القاضي يحيى بن أكثم[١]، قال: كنت نائما ذات ليلة عند المأمون، فعطش فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه، وأنا نائم فينغص علي نومي، فرأيته وقد قام يمشي على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذي فيه الكيزان نحو من ثلاثمائة خطوة، فأخذ منهما كوزا فشرب، ثم رجع يمشي على أطراف أصابعه حتى قرب من القرش الذي أنا عليه، فخطا خطوات خائف لئلا ينبهني، حتى صار إلى فراشه، ثم رأيته آخر الليل قام يبول، وكان يقوم في أول الليل وآخره، فقعد طويلا يحاول أن أتحرك، فيصيح بالغلام، فلما تحركت وثب قائما وصاح: يا غلام، وتأهب للصلاة، ثم جاءني فقال لي: كيف أصبحت يا أبا محمد؟ وكيف كان مبيتك؟

قلت: خير مبيت ـ جعلني الله فداءك يا أمير المؤمنين ـ قد خصك الله تعالى بأخلاق الأنبياء، وأحب لك سيرتهم فهنّاك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك.

فأمر بألف دينار فأخذتها وانصرفت.

وحكي أن بهرام الملك[٢] خرج يوما للصيد، فانفرد عن أصحابه، فرأى

---

(١) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأسيدي المروزي، أبو محمد (١٥٩ ـ ٢٤٢هـ): قاض رفيع القدر، عالي الشهرة، من نبلاء الفقهاء، يتصل نسبه بأكثم ابن صيفي حكيم العرب، ولد بمرو، واتصل بالمأمون أيام مقامه بها، فولاه قضاء البصرة سنة ٢٠٢ هـ ثم قضاء القضاة ببغداد، وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه عنده أحد، وكان ـ مع تقدمه في الفقه وأدب القضاء ـ حسن العشرة، حلو الحديث، استولى على قلب المأمون حتى أمر بألا يحجب عنه ليلا ولا نهارا، وله غزوات وغارات، منها أن المأمون وجهه سنة ٢١٦ هـ إلى بعض جهات الروم، فعاد ظافرا، وتوفي بالربذة. الأعلام ٨/ ١٣٨، وفيات الأعيان ٢: ٢١٧.

(٢) قال ابن خلكان: بهرام جور من ملوك الفرس، وكان قبل مبعث النبي ﷺ بزمان طويل، =

صيدا فتبعه طامعا في لحاقه حتى بعد عن عسكره، فنظر إلى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه ليبول، وقال للراعي: احفظ علي فرسي حتى أبول.

فعمد الراعي إلى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا، فاستغفل بهرام وأخرج سكينا، فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذي عليه، فرفع بهرام نظره إليه فرآه فغض بصره، وأطرق برأسه إلى الأرض وأطال الجلوس، حتى أخذ الرجل حاجته، ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعي: قدم إلي فرسي فإنه قد دخل في عيني من سافي الريح فلا أقدر على فتحها، فقدمه إليه فركب وسار إلى أن وصل إلى عسكره.

فقال لصاحب مراكبه: إن أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا.

* * *

= وكان من عاداته أنه إذا كثر عليه ما يصطاده وسمه وأطلقه. وفيات الأعيان ٦/ ٣٥٤.

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

قال علي ـ رضي الله عنه وكرم وجهه ـ لا تستحي من إعطاء القليل، فالحرمان أقل منه. وقال المهلب[١]: عجبت لمن يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري الأحرار بفعاله[٢].

ووقف أعرابي على ابن عامر[٣]، فقال: يا قمر البصرة، وشمس الحجاز،

---

(١) هو: المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العتكي، أبو سعيد: أمير، بطاش، جواد، قال فيه عبد الله بن الزبير: هذا سيد أهل العراق. ولد في دبا، ونشأ بالبصرة، وقدم المدينة مع أبيه في أيام عمر. وولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير. وفقئت عينه بسمرقند. وانتدب لقتال الأزارقة، وكانوا قد غلبوا على البلاد، وشرط له أن كل بلد يجليهم عنه يكون له التصرف في خراجه تلك السنة، فأقام يحاربهم تسعة عشر عاما لقي فيها منهم الأهوال. وأخيرا تم له الظفر بهم فقتل كثيرين وشرد بقيتهم في البلاد، ثم ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان، فقدمها سنة ٧٩ ﻫ، ومات فيها. وهو أول من اتخذ الركب من الحديد ـ وكانت قبل ذلك تعمل من الخشب ـ وأخباره كثيرة.

ترجمته في وفيات ٢: ١٤٥ ورغبة الآمل ٢: ٢٠١، والأعلام ٧/ ٣١٥.

(٢) الإعجاز والإيجاز ٦٧.

(٣) عبد الله بن عامر (٤ ـ ٥٩هـ/٦٢٥ ـ ٦٧٩م) هو: عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموي، أبو عبد الرحمن: أمير، فاتح. ولد بمكة. وولي البصرة في أيام عثمان (سنه ٢٩هـ) فوجه جيشا إلى سجستان فافتتحها صلحا، وافتتح الداور، وبلادا من دار ابجرد وهاجم مرو الروذ فافتتحها، وبلغ سرخس فانقادت له، وفتح أبرشهر عنوة، وطوس وطخارستان ونيسابور وأبيورد وبلخ والطالقان والفارياب. وافتتحت له رساتيق هراة وآمل وبست وكابل. وقتل عثمان، وهو على البصرة. وشهد وقعة الجمل مع عائشة، ولم يحضر وقعة صفين. وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين بعد اجتماع الناس على خلافته. ثم صرفه عنها فأقام بالمدينة ومات بمكة، ودفن بعرفات. كان شجاعا سخيا وصولا لقومه، رحيما، محبا للعمران، اشترى كثيرا من دور البصرة وهدمها فجعلها شارعا. وهو أول من اتخذ الحياض بعرفة (في الحجاز) وأجرى إليها =

ويا ابن ذروة العرب، وابن بطحاء مكة، برحت بي الحاجة وأكدت بي الآل إلا بنفائك فامنحني بقدر الطاقة لا بقدر المجد والشرف والهمة، فأمر له بمائتي ألف درهم[1].

وروي أن عمر ـ ﷺ ـ رأى سكران فأراد أن يأخذه ليعزره، فشتمه السكران فرجع عنه، فقيل له: يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته؟!

قال: إنما تركته لأنه أغضبني، فلو عزرته لكنت قد انتصرت لنفسي، فلا أحب أن أضرب مسلما لحمية نفسي.

وحكي أن رجلا زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار، ثم جاء بها إلى وكيل الفضل، فلما وقف الوكيل عليها لم يشك أنه خط الفضل، فشرع في أن يزن له الألف دينار، وإذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمر مهم، فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة، فنظر الفضل فيها، ثم نظر وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل، فأطرق الفضل بوجهه، ثم قال للوكيل: أتدري لم أتيتك في هذا الوقت؟

قال: لا.

قال: جئت لأستنهضك حتى تعجل هذا الرجل إعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة.

فأسرع عند ذلك الوكيل في وزن المال وناوله الرجل، فقبضه وصار متحيرا

= العين، وسقى الناس الماء. قال الإمام علي: ابن عامر سيد فتيان قريش. ولما بلغ معاوية نبأ وفاته، قال: يرحم الله أبا عبد الرحمن، بمن نفاخر ونباهي!

ترجمته في: طبقات ابن سعد ٥/ ٣٠، والأعلام ٤/ ٩٥.

(١) ربيع الأبرار ٢/٤٤١

في أمره ، فالتفت إليه الفضل وقال له : طب نفسا وامض إلى سبيلك آمنا على نفسك .

فقبل الرجل يده وقال له : سترتنى سترك الله في الدنيا والآخرة . ثم أخذ المال ومضى .

فيجب على الإنسان أن يتأسى بهذه الأخلاق الجميلة والأفعال الجليلة .

نسأل الله تعالى أن يحسن أخلاقنا ، وأن يبارك لنا في أرزاقنا إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

oberkandl.com

obeikandl.com

الباب الثاني والعشرون
في ذكر مدح الأسماء منظوما
وتطريز بعض الأسماء إما مع اللقب وإما مجردة تكميلا
لتحصيل الأرب والله الموفق

فمن ذلك للقيراطي في مليح اسمه بدر[١] : [مجزوء البسيط]

سموه بدرا وذاك لما ... أن فاق في حسنه وتما
وأجمع الناس إذ رأوه ... بأنه اسم على مسمى

وقال بعضهم في مليح اسمه إبراهيم[٢] : [الطويل]

رأيت حبيبي في المنام معانقي ... وذلك للمهجور مرتبة عليا
وقد رق لي من بعد هجر وقسوة ... وما ضر إبراهيم لو صدَّق الرؤيا

وفيه أيضا[٣] : [الكامل]

لا زال بابك كعبة محجوجة ... وترابها فوق الجباه وسيم
حتى ينادى في البقاع بأسرها ... هذا المقام وأنت إبراهيم

ولآخر فيه[٤] : [الوافر]

عجبت لنار قلبي كيف تبقى ... حرارتها وحبك يحتويه
فيا نيرانه كوني سلاما ... وبردا إن إبراهيم فيه

---

(١) المستطرف ص ٢٧٥.

(٢) البيتان لابن الرعاد، انظر: الدرر الكامنة ١/ ٤٩٣، وفيات الأعيان ١/ ٣٢٩، فوات الوفيات ٣/ ٣٥٧.

(٣) المستطرف ٢/ ٢٥٩.

(٤) الكشكول ١/ ٩٩.

وفيه أيضا[١] : [الخفيف]

سماه إبراهيم مالكه ولحسنه وصف يصدقه
أضحى كإبراهيم يسكن في نار القلوب وليس تحرقه

ولبعضهم في اسم علي[٢] : [مجزوء الرجز]

اسم الذي تيمني أوله ناظره
إن فاتني أوله فإن لي آخره

شمس الدين بن الصائغ[٣] فيمن اسمه علي : [مجزوء الرجز]

قال العذول عندما شاهدني في شغلي
بمن فتنت في الورى فقلت دعني بعلي

ولبعضهم وقد أخذ محبوبه واسمه [عليل][٤] : [مجزوء الرمل]

يا سادة دمع عيني أضحى إليهم رسولي

---

(١) الكشكول ١/ ٩٨.

(٢) الكشكول ١/ ٩٨.

(٣) ابن الصائغ (٦٤٥ ـ ٧٢٠هـ/١٢٤٧ ـ ١٣٢٠م) هو : محمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ : أديب، عالم بالعربية مصري الأصل، دمشقي المولد والوفاة. كان له حانوت بالصاغة. له (المقامة الشهابية) و(شرح ملحة الأعراب) وقصيدة نحو ألفي بيت في (الصنائع والفنون) و(شرح مقصورة ابن دريد)، و(مختصر كتابي ابن خروف والسيرافي على كتاب سيبويه)، و(مختصر صحاح الجوهري) يظن أنه (الراموز في اللغة العربية ـ) ثلاثة، و(ديوان شعر)، منه الابيات التي يقول فيها : (والطير يقرأ، والنسيم مردد، والغصن يرقص، والغدير يصفق).

ترجمته في : النجوم الزاهرة ٩/ ٢٤٨، والدرر الكامنة ٣/ ٤١٩، وفوات الوفيات ٢/ ١٨٨، وبغية الوعاة ٣٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٧٠ وسماه (محمد بن سباع الصائغ) وقال : كان يقرئ الادب في دكانه. والبداية والنهاية ١٤/ ٩٨، الأعلام ٦/ ٨٧.

(٤) في الأصل علي، والمثبت من الكشكول ١/ ١٥٩، وهو الذي يقتضيه سياق البيتين.

قلبي لديكم عليل بالله ردوا علي لي

وقال آخر في اسم مقبل[١] : [الكامل]

يا من تحجب عن محب صادق ما زال عنه كل يوم يسأل
من لي بيوم فيه تسمح باللقا ويقال لي هذا حبيبك مقبل

ابن العفيف في مالك[٢] : [الخفيف]

مالك قد أحل قتلي برمح الـ ـقدِّ منه وراح قلبي ظعينه
ليس يفتي سواه في قتل صب كيف يفتى ومالك بالمدينه

ابن نباتة[٣] مضمنا فيمن اسمه فرج[٤] : [الوافر]

أقول لقلبيَ العاني تصبَّر وإن بعد المساعف والحبيب
عسى الهم الذي أمسيت فيه يكون وارءه فرج قريب

(١) المستطرف ١/ ١٠٢.

(٢) ديوانه، ص ٢٠٦، والكشكول ١/ ١٠٠.

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري، أبو بكر، جمال الدين، ابن نباتة (٦٨٦ - ٧٦٨هـ): شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب، أصله من ميافارقين، ومولده ووفاته في القاهرة، وهو من ذرية الخطيب عبد الرحيم بن محمد بن نباتة، سكن الشام سنة ٧١٥ هـ تقريبا، وولي نظارة القمامة بالقدس أيام زيارة النصارى لها، فكان يتوجه فيباشر ذلك ويعود، ورجع إلى القاهرة سنة ٧٦١ هـ فكان بها صاحب سر السلطان الناصر حسن، وله ديوان شعر، وكتب منها: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، وسجع المطوق، ومطلع الفوائد، وسلوك دول الملوك، وغيرها. انظر: الأعلام ٧/ ٣٨، حسن المحاضرة ١: ٣٢٩ والبداية والنهاية ١٤: ٣٢٢ وابن إياس ١: ٢٢١ والدرر الكامنة ٤: ٢١٦ والنجوم الزاهرة ١١: ٩٥، والوافي ١: ٣١١.

(٤) الكشكول ١/ ١٠٠.

عز الدين الموصلي[١] فيمن اسمه سعيد[٢] :

اسم الذي شاقني سعيد ... ولي شقا حبه يزيد
إذا اجتمعنا يقول ضدي ... هذا شقي وذا سعيد

برهان الدين القيراطي فيمن لقبه مشمش[٣] : [مجزوء الكامل]

ومهفهف في خده ... نار تهيج لي الهوى
قد لقبوه بمشمش ... لكنه مر النوى

ولبعضهم في مليح اسمه ياقوت[٤] : [البسيط]

ياقوت يا قوت قلب المستهام به ... من المروءة ألا يمنع القوت
سكنت قلبي فلا تخشى تلهبه ... وكيف يخشى لهيب النار ياقوت

ولبعضهم في مليح اسمه عمر[٥] : [الخفيف]

ما عليهم في الهوى لو نظروا ... حتى سموك فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا ... أخطئوا ما أنت إلا قمر

ولبعضهم في مليح اسمه يوسف[٦] : [الكامل]

يا من سبى الشعراء نمل عذاره ... النجم يشهد لي بأنّي مدنف
صيرت قلبي من صدودك فاطرا ... فامنن علي بزورة يا يوسف

---

(١) علي بن الحسين بن علي : شاعر ، أديب ، من أهل الموصل ، أقام مدة في حلب ، وسكن دمشق ، وتوفي بها سنة ٧٨٩ هـ ، له ديوان شعر ، وبديعية شرحها في كتاب سماه التوصل بالبديع إلى التوسل بالشفيع . انظر : الأعلام ٤/ ٢٨٠، الدرر الكامنة ٣: ٤٣.

(٢) الكشكول ص ١٠١.

(٣) الكشكول ص ١٠١.

(٤) وفيات الأعيان ٧/ ٤٣.

(٥) المستطرف ١/ ١٢٩.

(٦) المستطرف ١/ ١٣٠.

وللصفي الحلي فيمن اسمه داود[١] : [الوافر]

وثقت بأن قلبيَ من حديد ... وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب ... إذا داود لان لـه الحـديـد

وله فيمن اسمه موسى[٢] : [الوافر]

أتى موسى بآية خال خد ... حوته صوارم الحدق المراض
فآية ذا بياض في سواد ... وآية ذا سواد في بياض
فجاء بضد ما قد جاء موسى ... كليم الله في الحقب المواضي

ولبعضهم في مليح اسمه محسن[٣] : [الرجز]

وأهيفٍ يعلو على عشاقه ... برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو العجيب محسن ... وكم دموع في الهوى أسالها

صفي الدين الحلى في اسم حسين[٤] : [الوافر]

حبيبي وافر والشوق مني ... طويل والهوى[٥] عندي مديد
وأعجب أنني أهوى حسينا ... وشوقي[٦] في محبته يزيد

ولبعضهم في اسم حسين أيضا[٧] :

جعلت جفني واصلا والكرى ... راء فجد بالوصل فالوصل زين
فاسمح ولا تجعل جوابي بلا ... فالقلب في كرب لا يا حسين

---

(١) المستطرف ١/ ٢٧٥.
(٢) المستطرف ١/ ٢٧٥.
(٣) المستطرف ١/ ١٠٢.
(٤) ديوانه، ص ٣٠٩، والمستطرف: الموضع السابق.
(٥) في الديوان: «والجوى».
(٦) في الديوان: «ووجدي».
(٧) سلك الدرر ٣/ ٢٠٦، ونسبهما للصاحب بن عباد.

الصاحب بن عباد فيمن اسمه عباس وهو ألثغ[١] : [السريع]

وشادن قلت له ما اسمك فقال لي بالغنج عباث
فصرت من لثغته ألثغا وقلت أين الكاث والطاث

ابن الوردي في مليح يلعب بالنرد مع مليحة[٢] : [مجزوء الرجز]

مهفهفان لعبا بالنرد أنثى وذكر
قالت أنا قمرته قلت اسكتي فهو قمر

في مليح معبس[٣] : [السريع]

لا تحسبوا من هِمت في حبه معبس الوجه لقلب قسا
وإنما رُقَيتُه خمرة فكلما استنشقها عبسا

ابن الوردي في مليح يصيد الكركي[٤] :

ومولع بفخاخ يمدها وشراك
قالت لي العين ماذا يصيد قلت كراكي

ابن العدوي في مغن :

رب مغنٍّ قال لي ردف وعطف مائج
هذا خفيف داخل وذا ثقيل خارج

في القهوة[٥] لماميه الرومي[٦] : [الهزج]

---

(١) انظر : معاهد التنصيص ص ٤٠٥، ويتيمة الدهر ١/ ٤٠٧.

(٢) انظر : الكشكول ص ١٩.

(٣) الكشكول ١/ ١١١.

(٤) البيتان لابن نباتة في الكشكول ١/ ٢٧.

(٥) انظر : النور السافر ص ١٤٦، الكشكول ١/ ١١١.

(٦) محمد بن أحمد بن عبد الله، المعروف بماميه الرومي (٩٣٠ - ٩٨٨هـ) : زجال، اشتهر بموشحات وأزجال كان إليه المنتهى فيها، وله نظم، رومي الأصل، ولد في إستانبول، ونشأ =

أنا المعشوقة السمرا وأجلى في الفناجين
وعود الهند لي عطر وذكري شاع في الصين

ولبعضهم في مليح له رقيب أحول[١] : [الكامل]

أحوى الجفون له رقيب أحول الشيء في إدراكه شيئان
يا ليته ترك الذي أنا مبصر وهو المخير في المليح الثاني

في مليح على عذاره خال[٢] : [الوافر]

على لام العذار رأيت خالا كنقطة عنبر بالمسك أفرط
فقلت لصاحبي هذا عجيب متى قالوا بأن اللام تنقط

ومما قيل في أسماء النساء في فاطمة :

عجبت من فاتنة لم تزل لمرتجي الوصل لها فاطمه
تنكر ما ألقاه من وجدها وهي بشوقي والجوى عالمه

ابن مكانس في اسم عائشة[٣] : [الكامل]

يا دهر خبرني بحقك واشفني فسهام فكري في أمورك طائشه
أيحل أني في المحبة ميت وحبيبتي من بعد موتي عائشه

شمس الدين البديري في اسم حليمة[٤] : [الطويل]

ولما رأتني في هواها متيما أكابد من حر الغرام أليمه
فجادت بطيب الوصل منها ولم تجر ومن أين تدري الجور وهي حليمه

= بدمشق، وكان من (الإنكشارية) وعزل، فتولى الترجمة في بعض المحاكم، وأثرى، وتوفي بدمشق له ديوان شعر، وتخميس البردة. انظر: الأعلام ٦/ ٧، شذرات الذهب ٨: ٤١٣.

(١) البيتان لأبي القاسم التجيبي البلنشي، انظر: الوافي بالوفيات ١/ ٢٠٩، ونفح الطيب ٢/ ٢١٢.

(٢) البيتان للحسين بن عقيل، معجم الأدباء ١/ ٤٢٢.

(٣) انظر: المستطرف ١/ ٢٧٦.

(٤) المستطرف ١/ ١٠٣.

ولبعضهم في اسم بركة دوبيت[1] :

لما نصب الهوى لقلبي شركه ناديت وقلبي تارك من تركه
يا قلب أفق ولا تمل للشركه تغنيك سنين ساعة من بركه

* * *

(١) السابق : نفس الموضع .

obeikandl.com

خاتمة الباب

وتحفة لذوي الآداب

ومما قيل في تطريز بعض الأسماء، فمن ذلك قولي في اسم إسماعيل أمين[١] : [الكامل]

(ا) الخد فيه الورد والنسرين والثغر منه اللؤلؤ المكنون
(س) سمحت بك الدنيا وضن بك الوفا فأنا الحزين الساهر المفتون
(م) ما بالني أخلصت فيك مودتي وتقول لي لا خنتني وتخون
(ا) إن كنت قد أخطأت سبل بني الهوى في أي مؤتمر عليك تبين
(ع) عنفتني فازددت فيك تولها وأذعت أسراري وكنت أصون
(ي) يحلو فمي أني ذكرتك مرة ويشوقني لحديثك النحلين
(ل) لم يحكني قيس غراما والذي أنا مرتجيه على هواك يقين
(ا) أنت الذي يا ظبي قد علمتني بين الأنام الشعر كيف يكون
(م) من لي بأن ترضى الرقاد لناظري وإلام أنت به عليَّ ضنين
(ي) يا حسنه الراقي الكمال محله في الخلق ولدان وحور عين
(ن) نادي وقل هذا الذي قد صانني ما كل إسماعيل عز أمين

ولمؤلفه ـ رحمه الله تعالى ـ في اسم أحمد لطيف[٢] : [مجزوء الرمل]

(ا) أيها الظبي المفدى منعش القلب الحزين
(ح) حبذا فيك التصابي يا ابن أنس العاشقين
(م) مالكي قد كان مني سفه فيك يقين

(١) حلية البشر ٣/ ٢٢٩.
(٢) حلية البشر ٣/ ٢٢٩.

(د) داره منك بعفو واصفح الصفح المبين
(ل) لا تكن مر التجافي متن أشواقي متين
(ط) طالما أنفقت شعرا فيك حينا بعد حين
(ي) يا ترى أحظى بوصل منك أو أبقى رهين
(ف) فتدارك نار شوقي يا لطيف العالمين

ولبعض في اسم مصطفى رستم: [المديد]

(م) منيتي أبهى من القمر هلَّ في داجٍ من الشعر
(ص) صادني من لحظ ناظره بهام للحظ والحور
(ط) طير أفراحي به غرد كيف قلبي فيه لم يطر
(ف) فاق غصن البان بالهيف فاق حسن الظبي بالخفر
(ي) يا رعى الله مودته قد خلت من داعي الكدر
(ر) ربما أجلى بطلعته غيهب الأحزان عن فكري
(س) سار بالآداب منه على تربة من معهد الصغر
(ت) تنتمي للجد همته وهو حلو الهزل والسمر
(م) ما رأت عينيَّ منه سوى بدر تم حل في النظر

وقال بعضهم مطرزا لاسم أحمد مظهر: [الكامل]

(ا) أشكو إليك تباعدا من شارد هو أنت ذاك الشارد المتباعد
(ح) حل عن شرودك جملة وارحم حشا قلقا لهجرك لا يزال يكابد
(م) ما حيلتي في مهدة قد فطرت والشوق نامٍ والدموع تطارد
(د) دع ذا التجافي إن تشا يا ذا الرشا هذا جميل في الصبابة رائد
(م) من لي إذا ما كنت عني راضيا وأراك تقرب والوشاة تباعد

(ظ) ظني بربي أن أرى ما أرتجي ظنا جميلا والكريم يساعد
(هـ) هلا ترق ولو بوعد مماطل لكن فصِدْق الوعد منك مشاهد
(ر) راع الذي ألف الصبابة دهره واسمح بوصلك للذي يتجالد

ولبعضهم في اسم سليم مجردا عن اللقب : [الكامل]

(س) سلِّم على ربع الحبيب وقل له إن الجوى في قلب صبك يصدع
(ل) لم يصح مما نابه وأصابه بعد الأحبة للقلوب يقطع
(ي) يبري سقامي أن أقبل خد من إن واجه البدر المنير يقنع
(م) ماذا عليه لو يجود بلثمة تحيا بها روحي وصحوي يرجع

وفي هذا القدر كفاية فقد شحن بهذا النوع كثير من الدفاتر ، وفنيت منه وقيات المحابر ، ونسأل الله العناية ودوام التوفيق لنهج سنن الهداية بوجاهة وجه نبيه الأعظم وصفيه الأكمل الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

obeikandl.com